كتابي

عدد خاص
روائ
القصص
العالمي

هدية منفصلة "مجلة الصّغار"

كتابى

مجلة شهرية للثقافة العالمية



اطلب مع هذا العدد
هدية منفصلة فى ٣٢ صفحة

مجلة الصغار
للأولاد والبنات

رقم : ١٠٥

التحرير : ٢٣ شارع عرابى (توفيق سابقا) ، شقة ١١١ ، القاهرة ــ تليفون ٧٥٦٤٧٥

الناشر : دار الشعب ــ ٩٢ شارع قصر العينى القاهرة ــ تليفون ٣١٨١٠

ثمن النسخة : ١٥ قرشا

اللوحات الداخلية

بريشة الرسام : ((سمير ثابت))



بقلم : ابراهيم المصرى

من مآثر حرب من حروب الاستقلال

« كانت حرب الاستقلال الايطالية دائرة الرحى فى سهول مقاطعة (لومبارديا) ، عام ١٨٢٠ ، وكان المجاهدون الايطاليون يقاتلون جيش الاستعمار النمسوى قتالا عنيفا ، تحت زعامة بطل من ابطالهم يدعى « اتيليو » وفى خلال هذه الحرب المجيدة وقعت حوادث هذه القصة التى تعتبر مأثرة من مآثر الجهاد الوطنى فى ايطاليا والعالم » .

● كانت الجدة العجوز « ماريا » قابعة فى ركن من أركان البهو الصغير ، تحدق فى الشعلة المستطيلة من شمعة كبيرة مثبتة فى اناء ، وقائمة بجوارها فوق منضدة . وكانت هذه العجوز — التى أشرفت على السبعين — قد غافلت أسرتها منذ بضعة أشهر ، واندست فى صفوف جيش التحرير ، وقاتلت معه ، وتمكنت من قتل أربعة ضباط نمسويين . **فلما ألقى القبض عليها ومثلت أمام الحاكم العسكرى النمسوى ، اصابتها نوبة مروعة من التشنج ، وطفقت تضحك ، وتصرخ ، وتهذى !.. فاعتبرها الحاكم عجوزا مجنونة وخرقاء ، فأمر بجلدها لتكون عبرة لسواها ، وألقى بها فى السجن شهرا ثم أطلق سراحها** . وها هى ذى ماريا فى بيت زوج ابنتها ، منكمشة فى مقعدها العميق ، تضحك فى بلاهة كعادتها ، وتتأمل الشمعة المضاءة ، وتخالس بيدها المرتعشة وهج النار ، وعينها الثاقبة تحوم حول ابنتها « روزين » .

وكانت « روزين » تنظر الى امها فى حسرة ، وتستغرب كيف أصبحت هذه المرأة ـ التي اشتهرت برجاحة العقل وقوة الأعصاب ـ مجنونة ومعتوهة !.. ومع ذلك فان روزين كانت تشكر ربها ؛ وتقول فى نفسها ان أمها لو ظلت متنبهة وعاقلة ، لكان الموت مصيرها المحتوم ولابد ، على يد الحاكم النمسوى !

على أن روزين لم تكن تفكر فى أمهـا فقط ، ولا كانت تتحسر عليها وحدها ، بل كانت تفكر أيضا فى ابنها هى .. ابنها الوحيد « كارلو » الذى غادر البيت منذ ثلاثة أيام ولم يعد ، والذى انطلق والده يجوب سهول (لومبارديا) بحثا عنه على غير جدوى !..

والحق أن « كارلو » كان قد تحول فجاة وتغير .. لم يعد ذلك الشاب الذى كانت تفخر به أمه ، لاستقامته ورصانته وخلقه الأبى المتين . كان داعيـة من دعاة الحرية كوالده ، وعلما من أعلام البطولة فى قريته . وكان قد احب وخطب الفتاة الطاهرة البريئة المجاهدة « جلوريا » . ولكنه لم يلبث أن خان عهدها ، ونبذها ، وأصبح ـ بين عشية وضحاها ـ ماجنا مستهترا خليعا ، يسخر من أبيه الكهل الوطنى الغيور ، ويهزأ بأمه التى تنافس فى صدق الوطنية زوجها ، ويتعمـد تحقـير جدته المجنونة العجـوز ، التى كانت تحتمله فى جلد وصبر ، وهى لا تفتـأ تحدق فيه تحديقا ثابتا غريبا ، بينمـا تتحسس أصابعها المرتعشة الشمعة المضاءة ، وتخالس ـ فى حذر ـ وهج النار ..

●●

● ورفعت روزين رأسـها ، وتأملت صورة ابنها المثبتة الى الحائط ، وسرعان ما ذكرت علاقته بالأرملة الجميلة الثرية « ايفونا » ، فغلى الدم فى عروقها !.. هـذه المرأة هى التى

أفسدت خلق ابنهـا .. هذه المرأة هي التى سلبته خطيبته جلوريا ، وجعلت منه فتى مدللا مخنثا وضيعا ، لا ينشد فى الحياة غير أسباب الترف والوان اللذة ، ومفاتن العز والسؤدد والجاه المريض !

وتقبضت تقاطيع وجه الأم ، وشاع فى عينيها الغائرتين ضباب الهم والأسى . فهتفت فى سريرتها ، من أعماق نفسها وهي تتلوى : « **كيف أنقذه من براثن تلك الفاجرة ؟ .. كيف أسترد ولدى ، ولدى الذى لم أرزق بسواه .. ولدى الذى كان غاية لحياتى ، واملا لوطنى ، وفخرا ومجدا لنا انا وزوجى المجاهد المكافح المسكين ! ؟** »

وتلفتت الى أمها ، عسى أن ترى فيها انسانا حيا يمكن أن يستجيب لها ، ولكنها ابصرت الجدة العجوز زائغة العينين ، متقدة الوجنتين ، تتفرس فى اللهب الأحمر كعادتها ، وتضحك وتهذى كالأطفال . فاعتصر الألم قلب روزين ، ولم تستطع الا أن تحنى رأسها خائرة ومنهوكة ، وتطلق لدموعها العنان ..

وفجأة سمع طرق متواصل على باب البيت ، فأسرعت روزين ملهوفة وفتحته ، ولكنها بدل أن تبصر ابنها أو زوجها ، ألفت نفسها تجاه الفلاح الشيخ السكير « أنطونيو » ، ينظر اليها بعينيه الحادتين نظرة قاسية حاقدة ، ويدفعها بيده ويدخل ! .. وارتمى الفلاح على مقعـد وهو يسعل ويترنح . لم يلتفت الى الجدة المعتوهة ، بل تطرح واسترخى ، وتحول صوب « روزين » ، وقال فى خشونة وانفعال :

– تعلمين انى فقدت ابنى الوحيد فى المعركة القائمة بيننا وبين أعداء بلادنا ، وانى ادمن الآن شرب الخمـر ، لا لأتعزى ، بل لأستنهض البقية الباقيـة من قواى وأستطيع ان اصيب النمسويين فى مقتل ، وأنتقم لولدى ! .. فهل انت افضل منى ، وهل تقيمين وزنا لحيـاة ولدك أكثر مما كنت انا اقيم وزنا

لحياة ولدى ؟ . . ان حياة اولادنا ملك لبلادنا يا روزين . وكل ام تؤثر حياة ابنها على مستقبل بلادها هى ام خائنة لوطنها الذى هو ابنها الحقيقى الخالد السرمدى !

فذهلت المرأة وارتعشت ، وغمغمت :

ـ لا افهمك . . صرح بما فى ضميرك يا أبت ولا تعذبنى !

فدنا الشيخ منها وهو يتعثر ، وأمسك بيدها ، وقال فى صوت غائر أجش :

ـ ان ابنك كارلو لم يعد منا . لقد التحق بمكتب المباحث التابع للنمسويين ، وهو الآن جاسوسهم علينا !

ففغرت روزين فاها كبلهاء ، وجمدت كأنما قد ضربتها صاعقة . اما العجوز المجنونة فقد تاهت عيناها ، وتوزعت نظراتها ، وارتجفت يدها الضـــامرة ارتجافا متعاقبا وهى تداعب النار . ثم هزت كتفيها ، وابتسمت ومضت تدمدم وتضحك وتهذى . فرمقها الشيخ بنظرة مستنكرة وأردف :

ـ يجب أن تصارحى زوجك يا روزين . انه رجل وطنى مجاهد لا شبهة عليه . . وهو ساعد زعيمنا وسنده ، بل هو انبغ واقدر كاتب لتلك النداءات الحماسية التى نوزعها كل يوم على جنودنا ، والتى تضرم فى صدورهم جذوة الوطنية وروح الأمل والايمان والكفاح . فعار على الولد الا يكون صورة من أبيه ، وعار على الأسرة كلها ان لم ترده عن غيـــه وتلزمه محجة الصواب !. هذا انذار لكم يا روزين فاحـذروا !. . لسوف تنكشف الحقيقة للزعيم فيورد ابنك الوحيــد ـ ان عاجلا أو آجلا ـ مورد التهلكة !

فارتعدت المرأة ، وأفاقت بغتة من غشيتها ، وأدركت . ولم تكد تدرك وتفهم وتتــأمل ، حتى هالتها فظاعة الاتهـام الشائن ولم تصدق . لم تستطع أن تتصور أو تسمع أو

تصدق . فاندفعت نحو الشيخ كوحش كاسر ، وصرخت فيه وهى تختلج وتهدر :

ـ **انت كاذب !.. اخرج .. اقول لك اخرج !.. ان هذا البيت اطهر واشرف من ان يلوثه مثلك ايها السكير المخرف النمام !**

فتحامل الرجل على نفسه وخرج . ولكنه قبل أن يصل الى عتبة الباب ، التفت الى المرأة وقال :

ـ لقد ابرأت ذمتى . واذا كانت أمك العجوز مجنونة ، فلا تكونى انت وزوجك من العميان !

●●

● وانصرف وهو يتطوح . فاتبعتـه روزين النظر وقد استولى عليها ضرب من القلق يشبه الخبال . فاندفعت تذرع الحجرة وتردد : « امكن هذا ؟.. أفى الاحتمال تصور شىء كهذا ؟.. ابنى العزيز المعبود الذى قاتل فى صفوف المجاهدين سنة بطولها ، ينقلب من فدائى الى جاسوس ، ويجلب العـار على نفسـه وعلى والده واسرته كلها ؟.. لا .. **هذا افك وزور !.. هذه وشـاية مختلقة ، بلغت من الخسة والدناءة حدا يستوجب قطع لسان كل من يروج لهـا !.. ومع ذلك فانا ارتعش .. انا اوجس خيفة بالرغم منى وارتاب .. ان الهوى يختم على البصر والبصيرة ، والانثى الحقيرة الفاجرة قد تخنق فى الرجل كل شرف وكل عـزة وكل ضمير !.. ولكن لا ..** لا يمكن أن تكون « ايفونا » قد تغلبت على ما أودعتـه أنا فى نفس ولدى من مبادىء وفضائل وقوى . لا يمكن أن تكون قد قهرتنى . ان ابنى هو قطعة منى ، وبضعة من احشائى ودمى . فهو اذن شبيهى . ومن المحال أن يتنكر للبطن الذى حمـله والدم الذى صاغه وأوجده ! »

واطلقت صيحة فرح مدوية ، وقالت وهي تنظر خلال النافذة : « ها هو كارلو ! »

ودخل الشاب يختـال في ثوب أبيض أنيـق ويبتسم . فارتمت أمه عليه ، فعانقها وقبلها ، بينما كانت الجدة المعتوهة تشرئب اليه بعنقها تنتظر منه أن يحييها ويقبلها هي ايضا . ولكنه لوح لهـا بيده عن بعـد واهملها ، وشرع ينضو عنـه ملابسه . وكانت أمه تتفرس في جبهته العريضة الناصعة ، وفي عينيه الزرقاوين وخديه الناضرين ، وشعره السـاحر المموج الذهبي ، وتتذكر جلوريا المسكينة ، وايفونا الفاجرة التي سلب لبها هـذا الجمال .. وتتذكر في الوقت نفسـه الشيخ انطونيو فترتعش ... !

وجاشت عواطفها ، وضاق صدرها بما يحمل . فصاحت بابنها وهي تفتأ تحدق فيه :

ــ اين كنت طوال هذه الأيام الثلاثة ؟.. لقد تقطع قلبي وقلب والدك لهفة عليك . انه لا يزال يبحث عنك . ذهب الى ايفونا فلم يجدها في بيتها ولم يجدك . فأين ، أين كنت ؟

فتطلع اليها الشاب لحظة ، وانعم النظر فيها ، ثم قال في صوت هادىء ثابت عميق :

ــ كنت معها .. في منزلها القروي الصغير... وسأتزوجها .. سأتزوجها يا أماه بعد أسبوع !

فاستشاط غضب الأم وقالت :

ــ وخطيبتك ؟.. خطيبتك المنكودة ؟.. امن اجل تلك الأرملة الفـاجرة يطاوعك ضميرك على التخلي عن خطيبتك العذراء الطاهرة جلوريا ، الفتـاة الوطنية المجاهدة التي طالما اسعفت جرحانا ، وحملت المئونة والسـلاح الى جنـودنا ، واستهدفت للموت تحت وابل من الرصاص ؟ !

فتمتم الشاب :

ــ اني أحب ايفونا ، ولا بد أن اتزوجها !

فجحظت عينا المرأة وتشبثت بابنها وهتفت :
ــ محال ! لن تقتلنى وتقتل والدك !.. لن تبيع بالمال جمالك وشبابك وكرامتك !.. ابن تلك الأرملة الثرية ذات ماض يندى له الجبين . لقد اتخذت لها عشاقاً بعدد ما فى طبعها المستهتر المتلون من نزوات . ثم هى صديقة أعدائنا ، صديقة النمسويين ، تغشى محافلهم ، وتتعاون معهم ، وتخدمهم على حساب وطنها دون ما وازع من خلق أو ضمير !

● ●

● تملص الشاب من أمه فى عنف ، وانفجر بغتة ، وصرخ فى تواقح قاس صريح :
ــ وأنا أيضا سأعاونهم .. لن احتمل الحياة بعد الآن !.. ماذا جنيت من خدمة وطنى ؟.. الفقر والبؤس والتشرد والرعب والاستهداف لموت عاجل يحرمنى متعة الحب والشباب ، وأنا بعد لم أعرف الدنيا !.. أتظنون أنكم أقوى من عدوكم ؟.. سيتغلب هذا العدو فى الغد عليكم ، ويصبح أقواكم وأقدركم صديقا له !.. فلماذا لا أصادق أنا العدو القوى منذ الآن ؟.. لماذا أخدع نفسى وأغامر بشبابى وأنزل مختارا عن حقى المشروع فى الحياة ؟.. لا .. سأتزوج ايفونا ، وأعاون النمسا القوية ، وأكون أول أيطالى عرف أين هو العقل والحكمة والمصلحة والصواب !
فغلى الدم فى عروق روزين وأمسكت بابنها فى ذعر وصاحت :
ــ اذن فحق ما قيل لى من انك انكرت ايمانك ومعتقدك والتحقت بمكتب مباحث العدو ؟.. تكلم .. اجبنى !
فحنى الشاب رأسه فى سكون ، وقال :
ــ نعم !
فانخلع قلب الأب وصرخت :

ـ تريد أن تعيش انت وتقتل وطنك ؟.. تريد ان تعيش انت وتقتل اباك وامك ؟

فقال كارلو :

ـ ما على الحمقى الا ان يحتملوا المصير الذى اختاروه . ومع ذلك فانا ساصارح والدى . ساحاول أن أقنعه . ساحاول ان ارده الى صوابه وانقذه وانقذكم قبل فوات الوقت !

فهتفت روزين :

ـ اياك .. اياك ان تفعل !.. اذهب .. اخرج انت ايضا ! واذا كان ضميرك قد مات ولا بد لك من ارتكاب جريمة ، فاقترفها وانت صامت . اقترفها وانت بعيد عنى ، ودعنى انقذ على الأقل البقية الباقية من بيتى وشرفى وحياتى .. اذهب .. عجل بارتداء ملابسك واذهب !

فتحركت العجوز المجنونة ، ومدت راسها ، وجعلت تنظر الى الشاب فى بلاهة ، وهى تضحك ضحكا متقطعا متعاقبا ، وترمق من طرف خفى لهب الشمعة وتراقص النار ..

●●

● **واثار** ضحكها أعصاب روزين ، فرددت ملتمسة متوسلة :

ـ اذهب .. اذهب ولا تعد أبدا .. اذهب قبل أن ياتى والدك !

فهزت العجوز اصبعها ، وتمتمت فى صوت يشبه النحيب :

ـ لا .. لا .. ولماذا يجب أن يذهب !.. انى أحبه .. انه عشيقى أنا !.. انه جميل !

فضحك كارلو مقهقها . وعاد فارتدى ثيابه متباطئا ، وامه تستعجله وتحثه خشية أن يلتقى بوالده فيصطدم

الرجلان وتهب العاصفة . بيد أن القدر ، القدر الساهر ، القدر الساخر ، القدر الذى يجهل الانسان سره ويحار فى فهم تصاريفه ، كان أسبق من روزين .. فقد دخل الوالد فى تلك اللحظة نفسها . دخل الوالد ولم تهب العاصفة . لم تهب العاصفة بسبب أية كلمة نطق بها كارلو ، لأن الشاب لم يستطع أن يندفع ويتكلم عندما أبصر والده مقبلا ، ساجى الطرف ، شارد اللب ، متجهما متقبضا متصلبا !

ولم يلتفت الوالد الى ولده ، ولم يسأله عن سر تغيبه الطويل عن البيت ، بل التقط أنفاسه ، واستجمع قواه ، وقال فى صوت واضح المخارج ، باتر النبرات :

ـ العدو يتعقبنى .. لقد عرف الحاكم النمسوى انى أنا الذى اكتب تلك النداءات الوطنية الحماسية المثيرة ، فاصدر امره بالقبض على !

فوجم الشاب ، وجمدت روزين ، وظلت العجوز مثبتة عينيها فى الأشخاص الثلاثة ، كأنها تستغرب دهشتهم ووجومهم وتريد أن تفهم !.. ولم تعد يدها المرتعشة تخالس النار . أما الوالد الكهل فلم يحفل باضطرابهم جميعا ، بل استطرد متجها نحو زوجته وابنه :

ـ واجبك أنت يا روزين أن تسهرى على بيتك ، وتعتنى كل العناية بأمك ، وتنفقى فى حكمة واقتصاد من المبلغ الذى ادخرته أنا لك . واذا نفد المبلغ واحتجت الى مال ، فالجئى الى الزعيم فهو لابد أن يساعدك .. **اما أنت يا كارلو فاحرص على عملك فى المصنع ما استطعت . واذا انتدبك الزعيم فى مهمة وطنية فاطعه دون اعتراض . وغاية ما اطلب منك هو أن ترتد الى مسلكك السابق القويم ، وان تعود الى جلوريا ، وأن تكون أنت رب الأسرة مكانى ، وان تنهض بهذا العبء**

كرجل شريف ، فتقطع كل صلة لك برفاق السوء ، وكل علاقة لك بالفاجرة ايفونا ، ولا تترك بيتك واسرتك فى الليل ابدا ..
لا اريد ان احاسبك الآن على الايام الثلاثة التى امضيتها خارج البيت . ولكنى ساحاسبك حسابا عسيرا لو اننى عدت حيا الى هنا . اما اذا قدر لى ان اموت ، فانت عندئذ وضميرك . ولا اظن ان ضميرك سيطاوعك ـ ولو لحظة ـ على التهاون فى رعاية امك التعسة المسكينة وجدتك المنكوبة العجوز .. ان املى كله معقود عليك يا ولدى .. فتعال .. تعال الى صدرى وقبلنى !

فأجهشت روزين بالبكاء . وفتح الوالد الكهل ذراعيه ، وضم ولده الى صدره وقبله . ولكن الشاب كان مطرقا . كان مقطبا . كان كانه يابى الا ان يكبح عواطفه ويقاوم ، فترك والده يقبله ولم يتحرك !.. فاستغرب الرجل جموده ، وعزاه الى تاثره واضطرابه . فقبله مرة ثانية فى حرارة وحنان ، وهم بأن يعانق « روزين » أيضا ويقبلها . وفى تلك اللحظة ، ماج البيت ، وسمع فى الخارج وقع حوافر جياد ، متبوع بصهيل وضجيج . فتصلب الوالد ، وارتعدت الأم ، واجفل الشاب . وهبت العجوز المتوهة واقفة ، وجعلت تحدق فى النار ، وتضحك ضحكتها الخفيفة الخاوية المزعجة البلهاء ..

● ●

● وفتح الباب فى عنف ، ودخل منه ضابط نمسوى مصحوب باربعة جنود . وقال وهو يتجه من فوره نحو الوالد الكهل :

ـ **الست انت المزارع وتاجر الحبوب « انريكو » ؟**

فتقدم الرجل واجاب :

ـ نعم .

فقال الضابط :

ـ لدى أمر بالقبض عليك أنت وزوجتك !

فتطلع اليه انريكو مبهوتا وغمغم :

ـ زوجتى ؟ !

فأردف الضابط :

ـ نعم . الأمر واضح ، وهو يقضى بالقبض عليك انت وزوجتك وارسالكما الى المنفى ، الى معسكر الاعتقال فى النمسا ، حيث تشتغلان بقطع الأحجار وتعبيد الطرق مدى الحياة ..

فذهلت روزين ، وارتجف انريكو وتطوح . بيد أنه تمالك نفسه وقال للضابط فى دهشة :

ـ وهذه العجوز ؟ .. وولدى ؟ .. ولدى كارلو ؟ .. ألم ينص الأمر على أن يعتقلا معنا ويرحلا فى صحبتنا هما أيضا ؟

فابتسم الضابط وأجاب :

ـ العجوز سنرسلها الى أحد المستشفيات . أما ولدك ، ولدك كارلو ، فقد أصبح منا . انه يجاهد الآن معنا . انه اليوم عضو عامل فى مكتب المباحث النمسوى !

فتداعت الأم وانسحقت . أما الوالد الكهل فقد شهق وتراجع كأنما قد نفذت الى صدره طعنة سكين . غاض دمه ، واصفر لونه ، واتسعت حدقتاه اتساعا مروعا ، وبدا عليه أنه يتأرجح على حافة هوة سحيقة ، يشهد فيها مصرع آماله كلها وهو حى . غير أنه تمالك نفسه ، واستنهض جاهدا ميت قواه ، وانقض على ولده وصاح :

ـ أنت ؟ !.. أنت أصبحت مارقا غادرا وخائنا ؟ !.. أنت أصبحت نصير المستعمر فى بلادنا ، وصنيعته فى قريتنا ، وجاسوسه الحقير المأجور علينا ؟ !.. تكلم .. أجب !

فأشاح الفتى بوجهه وصمت . ثم اندفع فى جرأة منكرة وقال :

ـ ما زال فى وسعى أن أنقذك وأنقذ أمى لو اقتديتما بى !
فصرخ الوالد الكهل :

ـ اخسأ .. فما أنت الا وغد !.. ابتعد .. انطلق من هنا !.. عليك اللعنــة .. عليك اللعنــة من صميم حسرتى وعذابى . عليك اللعنة من خالص حقدى وعجزى ومذلتى !

واخفى وجهه بين راحتيه ثم انتفض وأهاب بزوجته :
ـ اعدى متاعنا يا امراة ولنذهب !.. الوداع يا ماريا !
واندفع نحو العجوز وقبلها . ثم اتجه صوب النــافذة المفتوحة . وظل يسرح بصره فى الفضاء فترة ، ويستنشق ملء رئتيه هواء قريته العزيزة ، كأنه يودعها هى الأخرى !.. ولما اتمت روزين جمع متاعها ، وهمت بأن تميل بالرغم منها على ابنها الوحيــد لتقبله ، عاجلها الكهل بلفتة وحشــية مستنكرة ، ثم جذبها فى عنف ، وتقدم الجند ـ متبوعا بها ـ وخرج منصوب القامة ، مرفوع الرأس ، دون أن يلقى على ولده نظرة !

●●

● وبعد أن أوصد الباب ، وســاد فى الحجرة الملتمعــة بضوء الشمعة الكبيرة سكون شامل زافر ، **تحركت العجوز المتوهة ، وتغير بغتة وجهها الداكن المصفر ، وزايله ـ فى مثل لمح الطرف ـ كل اثر للبلاهة والذهول والشرود . فهبت من مقعدها ، ودنت من الشاب ، وصاحت به وهى تهزه هزا متعاقبا ، وتردد :**

ـ خــذنى .. خذنى معــك !.. لن اذهب أبدا الى المستشفى .. أريد أن أعيش معك .. أن أعيش بجوارك .. أتعتقد أن امرأة مثلى كانت بالأمس القريب مثال العقل والقوة ، يمكن أن تصبح بين عشية وضحاها مجذوبة ومجنونة ؟..

انهم المجانين !.. اما انا فقد تبت وندمت . عرفت أن الوطن خدعة ، والجهاد لوثة ، والاستقلال ضرب من المحال .. عرفت قيمة الحياة وانا على حافة القبر .. ما كدت أقتل الضباط النمسويين الأربعة حتى ثبت الى رشدى ، ولمست حماقة فعلتي ، فاصطنعت الجنون كي أنجو من الموت وأعيش .. فدعني أعيش معك يا كارلو وخذني !.. أنت الحياة بأسرها اليوم في نظرى .. سأحب زوجتك كما أحبك .. سأخدمها كما أخدمك . فلا تحرمنى من هذه النعمة يا كارلو وخذني !.. خذني اليها .. الى ايفونا .. انها تنتظرك ! لماذا تتردد ؟.. أتريد أن تجهز على .. أنت ؟.. ولدى ؟.. حبيبى ؟.. كل ما بقي لي ؟.. لا ، بل ضع ملابسك هنا .. ضعها في هذه الحقيبة ولتمض .. نعم . هكذا .. آه .. اشكرك .. اشكرك وأقبلك ، اقبلك من صميم فؤادى !

وما ان انحنى الشاب على الحقيبة وطفق يدس فيها ملابسه ، حتى برقت عينا العجوز وتوترت عضلات وجهها ، وغافلت كارلو وهو مطمئن وانقضت عليه .. وقبل ان يتنبه او يتحرك او يحاول النهوض ، أسرعت فاختطفت غدارته من صداره ، وصوبتها الى وجهه ، وصاحت به وعيناها الجاحظتان تلمعان :

ـ أكنت حقا تظن أني قد تبت مثلك عن الجهاد يا كارلو ؟ .. لن اتوب أبدا عن تأدية واجبى وفى صدرى نفس يتردد !.. انظر الى هذه الشمعة المتقدة .. لقد كنت أضيئها كل ليلة ، وأبقيها هنا ، بجوارى ، لأذكر في وهج اللهب المقدس المندلع منها أن علي ـ انا العجوز الفانية ـ أن أجاهد أيضا ما استطعت ، فى سبيل بلادى ! أجل ، أنا ما اصطنعت الجنون

(البقية صفحة ٤٩)

قصة من الهند

القربان!

للكاتبة الهندية: نرجس دلال



ترجمة : ح . ا

شخصيات من مخلفات الاستعمار فى الهند

من ذوى النفوس الضعيفة ، من يظن أن الانتساب للأجنبى مدعاة للفخر والزهو ، حتى على بنى وطنه وعنصره .. وقد عانت البلاد التى تعرضت للاستعمار وقاحة كثيرين من هذا الصنف من الادعياء .. وكانت الهنـد أكثر معاناة من سواها ، اذ كان الانتسـاب للجنسية « البريطانية » مبعث عجرفة وصلف أن حرموا من الاعتزاز بلونهم ومن الاعتداد بقوميتهم ..

وفى هذه القصة ، تصور لنا الكاتبة الهندية « دلال نرجس » احدى هذه الشخصيات ، فى أحداث جمعت بين الواقعية والخرافة !

● **انطلقت** السيارة ناشرة ضوضاءها فوق طريق وعر يغطيه الحصى ، وقد علت طبقة من التراب الأسمر أجنحتها وغطاءها وسـائر أجزائها ، التى كانت تتلألأ قبل قليل .

وامتدت الحقول القاحلة الجرداء فى كل الجهات ، فى أخاديد متكلسة ، حتى سفوح الجبال التى لفتها غلالة من وهج الحر .. غلالة خفيفة كالدخان ، مائلة الى الزرقة .

ولم يكن السيد « تريانا » يكف عن التطلع ــ وهو فى جلسته المريحة ــ الى ما حوله من مناظر تلك المنطقة . لقد قام برحلته هذه كى يرى بلاد الهند ، وقد عقد العزم على أن يشاهد منها بقدر ما أنفق على الرحلة .. فرأى المراعى الغنية والروابى الخضراء فى الشمال ، وشاهد مزارع الشاى فوق المنحدرات ، وزار بعض المعـابد والأطلال ، ورأى السدود التى أقيمت حديثا . وها هوذا يرغب فى زيارة المنطقة التى تجتاحها المجاعة .. **وكان حريصاً على التقاط بعض الصور**

لبعض النسوة الهزيلات ، بأثدائهن المدلاة كالقرب ، ولبعض الأطفال الذين ضمرت أعضاؤهم هزالا ، وانتفخت بطونهم فى شناعة تستحق التسجيل .. فسوف ينشر هذه الصور فى صحيفته لدى عودته مباشرة .. ولسوف يكون لهذا دوى صحفى مثير ، ومن ثم فقد حرص على ان تكون الصور بالغة الدقة والوضوح .

أما ركاب السيارة الآخرين ، فلم يبـــدو عليهم انهم يشاركونه قدرا يذكر من حماسه . على أن هـــذا لم يكن ليعكر مزاج السيد « تريانا » على الاطلاق ، فما من شىء يستطيع أن يصرفه عن غرضه . وكانت الحرارة تنقض عليهم ــ بلا هوادة ــ من خلال النوافذ الزجاجية المغلقة .. حرارة لا تكاد تطاق !.. وكانت الأتربة تنفـذ من بعض الشـــقوق الخفية ــ فى السيارة ــ فتنتشر على جلد المقاعد الفاخر !

وراحت صغرى السيدتين تجفف العرق عن جبينها ، وهى مستلقية فى استرخاء على مقعدها الوثير . كانت ذات وجه نضير أملس ، على الرغم مما تركه الارهاق على ملامحها من علامات .. سوداء الشعر ، يتراقص فى عينيها فيض من الأشعة الذهبية .. ولعلها كانت فى الثلاثين من عمرها ..

أما السيدة الأخرى ــ وهى شقيقة السيد « تريانا » ــ فكانت أكبر سنا ، وقد تهالكت فى أحد أركان العربة ، فاغرة الفم ، متجهمة ، تغفو فى نعاس مضطرب ، وقد علتها طبقـــة رقيقة من الأتربة غطت شعرها ووجهها وعينيها ، وتراكمت فوق حاجبيها وأهدابها .. وكأنها أحد مقاعد العربة !.. ولم يكن يلوح عليها أنها تدرك شيئا مما حولها !

أما الســـائق فكان شابا هنـــدوكيا ، ذا رسغين نحيلين مرنين ، وقد أمسكت يداه الرقيقتان بعجلة قيادة الســـيارة الضخمة بيسر ، واخذتا توجهانها دون جهد واضح . وكان

هو الشخص الوحيد الذى لم يعانى وطأة حرارة الجو .. ولقد كان يعمل ضابطا من قبل ، وقد أعير للسيد « تريانا » طوال فترة الرحلة ، على أن يقوم — فى نفس الوقت — بدور المرشد والمساعد . ولم يكن يفتح فمه على الاطلاق ، اللهم الا ليشير فى عبارات موجزة الى ما هو مثير فى تلك المنطقة من مواقع !

● ●

● ومال نحوه السيد « تريانا » ، قائلا :

— اسمع يا « بريتام » ، ابحث لنا عن ركن نستطيع أن نتوقف فيه ، لتناول الغـداء !.. يطيب لى أن أصيب شيئا من الطعام !

وأومأ « بريتام » بحركة من رأسه توحى بأنه قد سمع ، وان لم يحول عينيه عن الطريق ..

واحنق ذلك السـيد « تريانا » ، الذى لم يكن يحب الهندوكيين ، لا سيما الصموتين منهم .. كان ميالا الى الثرثرة ، قصير القامة ، ضخم الجسم ، ذا عضلات قوية ثقيلة ، نحاسى البشرة . وكان شديد الزهو باعلان جنسيته الانجليزية ، لا يكف عن أن يلوح بجواز سفر بريطانى ليؤيد دعواه .. وربما كان هنـاك خطأ ما ، فان جواز السـفر البريطانى — الذى كان السيد « تريانا » يحمله — لم يحل دون أن تكون بشرة الرجل داكنة كبشرة « بريتام » ، أو أن تكون عيناه صفيرتين سوداوين براقتين ، أو أن يكون ذا شعر طويل أسود ، يلمع بفضل ما كان يعلوه من « بريانتين » .. كان حريصـا دائما على العـودة الى طرق هذا الموضوع ما أمكنه ، شأن من يريدون أن يؤكدوا انتماءهم الى أصل مشكوك فيه !.. وما أشد ما كان ينتابه من « حنين » حين يتحدث عن « وطنه » — بريطانيا ! — وتفوق هذا الوطن على

غيره من الأوطان . كانت الشعوب الملونة جميعا ـ شعوب ذوى البشرة الصفراء والنحاسية والآبنوسية ـ لا تعدو فى رأيه أن تكون سلالات زنجية اعتاد أن يختصها بمشاعر الازدراء . وكان دائم السخرية بكل ما يراه ، ينتقده بلسان حاد .. وكم امتلأت بالغبطة الخبيثة نفسه لكل ما كان يمر به من قرى يسودها الخراب والجدب ، حتى أنه كان يفرك يديه اعلانا عن سعادته !.. ولعله كان يتصور ، وهو يحشر نفسه فى زمرة الانجليز ، أن باستطاعته أن يغير من لون بشرته وشكل عينيه !!

لكم تساءل « بريتام » ـ الضابط السابق بسلاح المدفعية ـ ساخرا عما عسى أن يكون مسقط رأس هذا السيد « تريانا » .. لعله ولد تحت سماء فى مثل زرقة هذه السماء ، وفى مناخ أشد حرارة من هذا المناخ .. بيد أن « بريتام » كان حريصا على أن يقف موقفا سلبيا ، وكان ما يتمتع به من دماثة خلق يحمله على الا يدع اية فرصة لاظهار ما كان يجد من تسلية وفكاهة حيال تعاظم السيد « تريانا » وادعائه !

وانحرفت السيارة الضخمة عن الطريق لتصل الى تل كان يبدو ـ عن بعد ـ كأنه كومة قبيحة من الاحجار . وهنالك ، اكتشفوا حصنا مهجورا ، يستطيع المرء أن يجد بداخله ملاذا من وطأة الشمس ، وأن يعثر فيه على مكان رطب تستروح فيه النفس من شر هذا الهجير !

وخرج الجميع من السيارة يتمطون فى اغتباط لأول مناسبة سنحت لهم للحركة .. وتثاءبت الفتاة ، ورفعت ذراعيها الى ما فوق رأسها ، كقطة صغيرة كسول . وأخذ السيد « تريانا » ـ الذى لم يكن يحول عنها عينيه ـ يمر بطرف لسانه فوق شفتيه الغليظتين ، ويدنو منها ليمسك

بذراعهـا العارية بين أصـابعه الضخمة .. ثم قال لها فى تلطف : « أسرعى الى الظل يا هيلين ! »

وقرص ذراعها ، وهو مستمر فى مزاحه : « كيف يكون حالنا ، اذا أنت أصبت بضربة شمس .. هه ؟ »

وابتعدت عنه الفتاة فى فتور ، ودخلت الى الحصن وراء السـيدة الأخرى .. الواقـع أنهـا لم تكن تحب السـيد ((تريانا)) ، ولكن وضعها ـ كمرافقة للسيدة ((جوردان)) شقيقته ـ كان يحتم عليها أن تحتمل الكثير مما لا يروقهـا منه .. وكان وقت النـدم على قبولها هذا الوضع قد انقضى !

وتوقفت خلفهم عربة نقل صـغيرة ، كانت تتبعهم على مسافة كافية ، فنزل خادمان وأخرجا منها سلالا ، وبسطا بعض المفارش ، وأعدا المائدة فى حرص ومهارة ينمان عن حذق لمهنتهما .

● ●

● **وما لبثت** السيدة « جوردان » ـ التى ظلت أثنـاء هذه الاستعدادات صامتة ، وان راحت تتأمل الغـداء بعين نهمة ـ فقد انقضت على كومة الشطار بيد متلهفة ، وراحت تلتهم منها بنشوة وشره .. بينما كانت « هيلين » ترقبها بشعور مزيج من الشفقة والاشمئزاز . وانتحى « بريتـام » جانبا ، وقد بدا على سجيته ، فى قميصه الأزرق ذى الياقة المفتـوحة .. وتجلى على وجهـه ذلك التعبير الذى ظل يلازمه ، والذى كان ينم عن البرود والتباعد ، وكأنه كان يرجو بذلك أن يقيم حاجزا بينه وبين الباقين .

لم يكن السيد ((تريانا)) يكف عن اثارته طوال فترة الرحلة . وقد ظل يضـايقه بالملاحظات المحرجة عن عادات الشعب الهندوكى ومعتقداته ، ولكن ((بريتام)) ظل ـ من

ناحيته ـ ثابت الجنان لا يتأثر . وكان موقفه هذا مما أثار حيرة ((هيلين)) ، فقد كان عدم اكتراثه يحنقها تارة ، ويحملها على الاعجاب به ـ تارة أخرى ـ لما كان ينم عنه من سيطرة على النفس .. سيطرة تفوق كل تصور ! وقد دفع هدوء « بريتام » السيد « تريانا » الى ذروة السخط ، فى النهاية ، فصاح يعلن بازدراء :

ـ بلد رائع !.. يمكن أن يقال انكم قد بلغتم درجة من النضج تؤهلكم للتمتع بالاستقلال .. او بتعبير آخر ، يمكن أن يقال أنها تبيح لكم الحق فى أن تموتوا جوعا فى سلام .. دون أن يؤذن لأحد بالتدخل فى شئونكم !!.

ولكن « بريتام » ظل على صمته .. وهنا انتابت السيد « تريانا » نوبة حنق بارد ، وكأنما عقد العزم على أن يفعل أى شىء من شأنه أن يحدث استجابة لاثاراته .. كان يريد أن يرى الغضب يزيح ذلك القناع ـ الذى لم يكن يملك أن ينفذ خلاله الى ما فى نفس الرجل ـ ويصبغ هذه البشرة السمراء بحمرته ، ويشعل الشرر فى هاتين العينين اللتين كان هدوء نظراتهما أسوأ أثرا من الاهانة . لذلك طوح بذراعه فى اتجاه القرية القاحلة ، وفى اتجاه الأرض التى كانت تتشقق جدبا تحت الشمس ، قائلا :

ـ فيضانات ، مجاعات ، فساد ، رشوة ، زيادة فى السكان ، نتيجة رائعة !.. هه ؟ ان أحدا لم يستطع ـ منذ غادرنا هذه البلاد ـ أن يفرض أى قدر من النظام .. ليس لديكم من معنى كلمة الحكومة سوى الثرثرة الفارغة ، ينساق اليها بعض الساسة الذين أسكرتهم نشوة السلطان !.. كيف تجرؤون على المساهمة فى جلسات مجلس الأمن ؟ .. كيف تتأتى لكم الفحة لتقدموا للعالم ارشادات من عندكم وتوجيهات ... انتم يا من تتخبطون فى ابشع الوان الفوضى ؟.. يالها

من وقاحة لا تطاق ، ان يندفع أناس فى ابداء النصح والدعوة للنظام ، وهم لا يعرفون كيف يوجهون دفة زورقهم !

وفى لمحة خاطفة كأنها وميض البرق ، لاح أن « بريتام » يوشك أن يهم بالانقضــاض على السيد « تريانا » ، فيقبض بأصابعه الطويلة على عنقه ، ويضغط بكل قواه . ولكن يديه المتوترتين ارتدتــا بسرعة ، وقال بلهجتـــه الانجليزية التى لا تشوبها شائبة :

ــ أظن أن وقت الرحيل قد حان ، اذا أردنا أن نصل الى « الشاليه » قبل حلول الليل !

●●

● وكانت الســـيدة « جـــوردان » تنقل بصرها بين الرجلين ، والقلق يرسم على وجهها تعبيرا يزيد من معـــالم البلاهة التى تعلو أساريرها .. وما لبثت أن قالت بلهجة تنم عن التوفيق والمصالحــة :

ــ سيد « بريتام » ، أليس عندك من معلومات مثيرة تود اطلاعنا عليها ، بشأن هذا الحصن ؟

وتطلع اليها « بريتام » ، ثم ابتسم قائلا :

ــ انه ليس سوى حصن قديم بلا تاريخ .. على أنه من المعلومات الطريفة ، أن لدى القرى المجــاورة عادة جــديرة بالذكر ، تتمثل فى أن يقدم السكان الى اله المطر قرابين بشرية .. **وبما أن القانون ــ فى أيامنا هذه ــ يحرم بالطبع مثل هذه العادات ، فان كثيرا من الفلاحين ــ من ســـكان المنطقة ــ يعتقدون اعتقــادا راسخا ، أنهم ما كانوا ليواجهون هــذه المجاعة لو أنهم قدموا الى الاله قربانا !**

فأطلقت السيدة « جوردان » صيحة خفيفــة ، تنم عن الانفعال والرعب ، وهتفت :

ـ اتعنى انهم كانوا يتقربون الى الاله بمخلوقات بشرية حقـا ؟

واردفت هيلين : « يا الله !.. هذا غير معقول ! »

فهز « بريتام » كتفيــه ، وهو يجلس الى عجلة القيادة ، وقال :

ـ عجبا !.. هذه ليست سوى وسـيلة من الوسـائل لمواجهة الأمور . انهم يضحون بكائن بشرى فى سبيل انقاذ حياة المئات من الآدميين .. وفى الوقت ذاته ، نحن هنـا نرى أن من الشجاعة ارسال الناس الى بلد أجنبى ، بهدف قتل اناس آخرين لا يكنون لهم شيئا من العداء !.. وعلى أية حال ، فان هذه العادة قد انقرضت منذ عهد بعيد .

وصرخ السيد « تريانا » بلهجة غاضبة :

ـ هل تتطاول فتقارن تلك الشعائر الوحشـية ، التى تؤديها قبيلة بدائية جاهلة ، بالحملات التى تنظم تنظيما دقيقا فى الحروب الحديثة ؟

وقال ((بريتام)) فى نفسه ، وقد بلغ به الضيق مبلغـه : ((ها هو ذا يعيــد الكرة !)) .. ولكنه بذل جهــدا جبارا للسيطرة على نفسه .

كانت السيارة تسير ببطء فى طريقها المرسوم ، فصرف ذهنه الى تأمل روعة الآلات الحديثة .. قد لا تواتيه الفرصة ـ بعد اليوم ـ ليقود سيارة لها مثل هذه الروعة والمرونة . وراح ـ وهو مقطب الجبين ـ يركز كل اهتمامه على الطريق .. ترى بالله ، ماذا سيتاح لهـذا الكائن المترهل أن ينشر فى صحيفته ؟

كانت الحقول العارية ـ التى الهبتها الشمس وأجدبتها ـ تتتابع فى خط واحد ، على مـدى البصر .. وعلى مسافات متباعدة ، كانت الابصار تلتقى بهيكل شجرة وحيدة ، تمتـد اغصانهـا الى السماء ، أو مجموعات صغيرة من الاكـواخ

المتناثرة ، عبر تلك المساحات المترامية الموحشة .. ولكنها لم تكن تقع على كائن بشرى ، وكأنما لم يقدر لمخلوق من الأحياء ان يخاطر ويتوغل فى هذه الصحراء !

●●

● وأخيرا بلغوا « الشاليه » . وعند عتبة « الفيراندا » ، ظهر كهل بادى النعاس ، راح يتأمل السيارة الفارهة وركابها فى بلاهة .. كان المسكن نموذجا لمأوى كلاسيكى : أثاث عتيق تغطيه الاتربة ويخيم عليه نسيج العنكبوت ، وحشيات يسمع صرير زنبركاتها المحطمة . واسرع القوم ينشرون الملاءات النظيفة ، قبل الشروع فى اتخاذ الترتيبات الخاصة بوجبة المساء.

واقبل على المكان بعض الأهالى الشاحبين ، النحاف ، فى أسمال بالية ، وقد اجتذبتهم انوار المصابيح والضوضاء والحركات غير العادية ، فراحوا يحومون حول « الشاليه » .

وكانت « هيلين » أول من رآهم ، فاطلقت صيحة قصيرة ، تنبه بها رفاقها . ولمحوا بعض الأطفال .. كائنات صغيرة تثير الشفقة ، اذ ضمرت أعضاؤهم ، وانتفخت بطونهم ، وراحوا يتاملون الغرباء بنظرات ثابتة ، لا تشى بشىء .. نظرات كانت تنبعث من عيون واسعة ، ذوى بهاؤها !

وغمغمت « هيلين » وقد غص حلقها : « اواه !.. يا للصغار المساكين ! »

بيد أن السيد « تريانا » أخذ يفرك كفيه ، وقد بدت عليه علامات الاغتباط .. وقال :

ــ أنا على يقين من اننى سأحصل على ما ابتغيه من صور مثيرة !

والتفت الى « بريتام » ، قائلا : « اخبرهم بأننى أريد ان يحضروا غدا ، لألتقط لهم بعض الصور الفوتوغرافية !.. وقل لهم أن يحضروا معهم أنحف نساء المنطقة وأشدهن

سمورا .. نسوة يعطين الاحساس بالموت جوعا !.. انك تفهم ما اعنى .. قل لهم انى سأمنحهم بقشيشا طيبا ! »

ونطق « بريتام » ببعض الألفاظ السريعة مخاطبا أكبر الرجال سنا . واتجهت نظرات الشيخ الى السيد « تريانا » ، فظل يتأمله محدقا فيه لحظات طويلة ، حتى اضطرب السيد « تريانا » ، واحس بالارتباك ، فأخذ يردد : « ماذا أصابه ؟.. الم يفهم ؟.. أم ماذا ؟ »

ودمدم المواطن مخاطبا « بريتام » بشىء ما ، فقام هـذا بترجمة حديثه :

ـ صباح غد ، عند شروق الشمس ، عليك أن تذهب الى أكواخهم ، وسيعرض عليك هؤلاء القوم كل ما تحب ان تراه ! .. هل تحب أن توجه أسئلة اخرى ؟

فقال « تريانا » بلهجة مفعمة بالاغتباط : « قل لهم أننى احب أن اشهد عملية تقديم قربان بشرى ! » .. وراح يطلق قهقهة صاخبة .. فرمقه « بريتام » فى صمت أخرس ضحك الرجل فى حلقه ، بينما تسلل الأهالى فى طيات الظلام .

● ●

● وعندما اعد العشاء ، اتخذ أفراد الجماعة الصغيرة أماكنهم الى المائدة .. كانت وجبة رائعة ، تشهد بما لصناعة الأغذية المحفوظة من افضال .. وتناولوا بعدها أكوابا من القهوة المسكرة ، الممزوجة باللبن .

وكانت ((هيلين)) ـ خلال الغداء ـ تاكل بطرف شفتيها . وحين رفعت عينيها ، لاحظت أن ((بريتام)) لم يمس اى طبق من الطعام ، بل انصرف الى احتساء قهوته فى رشفات صغيرة ، غافلا عما حوله ، وقد شردت نظرته بعيدا فوق رؤوس الموجودين .. وكانت السيدة « جوردان » فريسة للتوجس ، فأخذت تقضم الطعام دون اقبال عليه ، وهى

تتلفت نحو النوافذ ــ من آن الى آخر ــ بنظرات قلقــة ، تسائل الظلام الذى كان يلف الشاليه ، وكأنها تخشى ظهــور عينين لامعتين فى وجه هزيل !

أما السيد « تريانا » ، فأخذ يأكل بارتياح تام ، متذوقا كل الأصناف ، مجففا شفتيه بمنشفة ناصعة البياض ، ملتهما كميات ضخمة من الطعام .

وعندما بدت طلائع الفجر التالى ، كان السيد « تريانا » على أهبة الاســـتعداد .. وكان الجو ينــذر بيوم قائظ ، والسماء شديدة الزرقة . وعلى البعد ، كان الناظر يمينــا يلمح مجموعة من الأشجار قرب بئر جافة .. وكانت الأبصار ترتد دائما الى هذا المكان ، تجذبها اليه قوة خفية لا سبيل الى مقاومتها .

وقام السيد « تريانا » بإعداد آلة التصوير ، وعلقها الى عنقه بسير من الجلد ، ثم قال :

ــ حسن !.. قم معى « يا بريتام » !

وأجاب « بريتام » فى برود : « كلا . لن أذهب ! »

ولو ان أحدا رأى السيد « تريانا » ــ اذ ذاك ــ لخيــل اليه أنه لن يلبث أن يصاب بسكتة قلبية . وكرر الشــاب ، بنفس اللهجة اللامبالية ، قوله : « لن آتى !.. انني أتقاضى أجرى لأريك البلد فحسب !.. وهذا هو كل عملى ! »

● ●

● مكث السيد « تريانا » مسمرا فى مكانه ، وقد أخرسه الذهول ، وغاب عن وجهه كل اشراق .. وكان الجهد ــ الذى راح يبذله كى يكتم غضبه ــ يزيد من انتفاخ شرايين رقبتــه وصدغيه .. ثم وضع قبعته فوق رأســه ، دون أن يضيف كلمة واحدة ، وسط الضوء الباهر الذى كان يغمر السهول .

وانقضت عليه حرارة الجو دفعة واحــدة ، فى قســوة

لا ترحم ، ولكنه لم يعرها أى اهتمام .. كان الحنق والسخط يدبران فى داخله !.. وكانت الأرض الوعرة تحيل سيره تعثرا . والمحصولات القليلة توشك ـ تحت لفح الشمس ـ أن تذبل فى حقولها . وكان مجرى النهر قد جف من أمد بعيد وتراكمت فيه الرمال . وأخذ السيد ((تريانا)) يتعثر فى مشيته ـ من وقت لآخر ـ فيتناثر السباب خافتا من بين أسنانه . وشعر بأن ثيابه ـ على رقتها ـ ثقيلة جدا ، لا تتناسب مع حرارة الجو ، فقد أخذ العرق يتفجر من جسمه غزيرا ، فيغمره ويملأ سترته بقعا مبتلة .. وعلى مقربة من القرية ، أخرج من جيبه منديلا مضمخا بالعطر ، فجفف به وجهه .

كان ثمة رجال ونساء راقدون أمام الأكواخ ، أو على عتبات الأبواب ، وكأنهم غابوا فى سبات مخيف .. ولم يكن من اليسير ـ لأول وهلة ـ أن يميز الانسان بين الشباب منهم والشيوخ ،من فرط ما فعل العذاب والجوع بوجوههم .. ولم يأت أحدهم بأدنى حركة ، عند اقتراب السيد « تريانا » ، وان بدت عيونهم ـ التى كانت تتقد محمومة ـ مفتحة ، وقد اتجهت نحوه ، تحملق فيه !

واتخذ السيد « تريانا » الطف مظهر له ، اذ كان بازاء موقف فريد تماما .. كانت سحنهم تبعث على الذهول . يالها من مجموعة صور مثيرة سيحدث نشرها فى صحيفته دويا هائلا !!

وفى رقة مصطنعة ، مال السيد ((تريانا)) على نسيدة شابة منبطحة فوق التراب ، شبه عارية ، وهى تحتضن طفلا وليدا . وازداد السيد ((تريانا)) انحناء عليها ، وأخذ يتفحص الطفل بعناية .. كان ميتا !.. وكان لايزال فاغرا شفتيه ، وكأنه كان يصر ـ حتى بعد الموت ـ على طلب الزاد !

وضع السيد « تريانا » يده الغليظـــة فوق كتف الام الهزيلة البادية العظام .. كل ما كان يبغيه هو أن تخرج الأم من منطقة الظل ، كي يلتقط لهـا صورة فوتوغرافية . ولكن حركته فجرت فى ذلك الجـو الســاخن ما يشبه الصدمة الكهربائية ، فتراجع الى الوراء خطوة ، وتطلـع الى ما يدور حـــوله !..

كان الرجال والنساء جميعا قد نهضوا فى حركة واحـدة مرنة ، وفى صمت ، كأنهم أشـــباح فى حـلم مزعج .. كانت المساكن قائمة على ثلاثة أضلاع من منطقة مربعة .. أما الضلع الرابع ، فكان المخرج الوحيد من القرية .. وعند هذا المخرج، تجمع القوم كشخصيات فى أحد ((الباليهات)) الخرافيـة ، فقطعوا بذلك خط الرجعة على السيد ((تريانا)) .. وأخذوا يتقـدمون نحـوه فى صمت رهيب ! ورأى السـيد « تريانا » عشرات النظرات المتقـــدة مسلطة عليه .. نظرات تنم عن تصميم لا يرد . ومضــــوا يقتربون ، ويقتربون ، ويزدادون اقترابا !

وسرت فى أوصاله رعشة رعب .. وراح يتراجع ــ وقد استسلم للخوف بدافع غريزى ــ حتى أحس بجدار ساخن خلفه ، فاستند اليه . محال أن يمضى الى أبعد من هذا !.. ومن كل الجهات حوله ، ظلت ترمقـه عيون قريبة ، يصليه بريقها ويحطمه ..عيون داكنة ، فى وجوه داكنة ، غامضــة ، قاسية ، ملتهبـــة !

ها هوذا يشتم رائحتهم !.. كان كمن يترقب نهايتــه ، دون أن يأتى بمجرد حركة يدفع بها عن نفسه . وبيد مرتعدة فتح سترته ، وأخرج من جيبه حافظة منتفخة بأوراق النقد .. وتلعثم قائلا وهو ينزع حفنــة من الأوراق الماليــة التى بسطهـا :

ــ خذوا !.. هذه لكم !!

وسقطت الأوراق من يده وديست بالأقدام . وأجهز هذا الاحتقار ــ الذى قوبل به المال ــ على أعصابه وحطمها نهائيا ، فانهار .. وصرخ : « النجدة ! » .. ولكن صوته ارتد اليــه مرتعشا ، بالغ الضعف !

ــ النجدة ! النجدة !

العيون !.. الوجوه !.. كل شىء ضده !.. وبغتة برزت اطراف الخناجر تومض شررا تحت اشعة الشمس . صرخة مكروب .. حادة ومتصلة !.. وفى الســماء ذات الشمس الحارقة ، شرعت العقبان تحوم .. بلا عجلة !..

وفى « الشاليه » : انقضى النهار ببطء ، ولم يظهر السيد « تريانا » وقت الغداء ، ولكن احدا لم يسرف فى القلق عليه ، وان كانت دقات الطبول الأولى ، قد أثارت فى نفوسهم شعورا غامضا بعدم الارتياح .. اذ كانت دقات الطبول تتصاعد ــ وسط وهج القيظ ــ بطيئة فى البداية ، كأنهــا وجيب قلب هامد .. ثم أخذت تزداد سرعة وشدة ، حتى أصبحت تدوى بوحشية ضارية .. وسرعان ما امتلأ الجو كله بهذه الدقات الظافرة ، يصاحبها ترنيم رتيب ، رهيب !

●●

● وتناهت كل هذه الضوضــــاء الى الجالســـين فى « الشاليه » ، فأخذ تتابعهــا السريع يلقى فى قلوبهم رعبــا لا سبيل الى وصفه !

وعندما قرروا ــ أخيرا ــ أن يخرجوا للبحث عن السيد « تريانا » ، وجدوا الطبول تحاصرهم من كل اتجاه .. شعروا بها امامهم ، وخلفهم .. وكانت تدور ، وتدوى ، فى نشــوة عاطفة بدائية هوجاء !

ولم ير احد السيد « تريانا » ، بل اصطدمت ابصــارهم بوجوه خالية من كل تعبير .. وجوه جامدة ، لا ســبيل الى

النفاذ الى ما ورائها .. وكانما أصيب أهل القرية بالعمى ، فلم يكونوا يبصرون .. وبالصمم ، فلم يعودوا يسمعون !

ولم يلح الأغراب فى سؤال القوم .. وما كانت بهم حاجة الى السؤال ، اذ أن المخاوف التى خامرتهم ، سرعان ما تجسدت أمام أبصارهم .. جسدها منظر الطيور السوداء تحوم فى السماء ، ثم تحط على مكان قريب .. وسعوا الى ذلك المكان ، فانزعجت الطيور الجارحة ، وطارت .. وتبين الأغراب أنها كانت تحط على جثة السيد « تريانا » .. والحق انهم لم يتعرفوا على الجثة الا بالحدس .. أو ما يشبه الحدس !

ودثروه فى ملاءة بيضاء ، ورفعوه الى سيارة النقل الصغيرة .. وكانت السيدة « جوردان » تئن بصوت واهن مبحوح .. وراحت « هيلين » تتطلع ــ وقد نضبت دماء وجهها ــ الى « بريتام » ، وكأنها تهم بأن توجه اليه سؤالا ما !

ولم يكن « بريتام » قد فقد شيئا من هدوئه ، مما مكنه من أن يعجل باتخاذ التدابير للرحيل ..

وعندما هموا بمغادرة المكان ، بدأت الأمطار تتساقط .. نقاط ضخمة ، ثقيلة ، واخذت تزداد غزارة ، حتى تحولت الى سيل تدفق فوق سقف السيارة ، بينما كان قصف الرعود يتتابع فى هدير !

وتطلع الثلاثة الذين كانوا فى السيارة ، كل الى الآخر ، فى صمت ..

ومن خلال خرير المياه المتدفقة وهزيم الرعود ، ظلوا يسمعون دقات الطبول المنتصرة ، الظافرة ، وكأنها تنبعث من أحشاء الأرض ذاتها .. الأرض الجائعة ، التى اخذت قوتها تعود اليها من جديد ، فى تلك اللحظات !

قصة من اليابان

الابن والأم!

القصصي الياباني :
جواران هيزاءو

ترجمة : حمادة ابراهيم

لا يفلح الاستعمار فى تغيير الشعوب العريقة !

تتعمد دعايات مغرضة أن تصور للرأى العام العالمى ، أن الشعب اليابانى قد تغير تحت الاحتــلال الامريكى ، وتخلى عن حضارته العريقة ، وتقاليده التى كانت مصدر فخر واعتزاز لليابان ..

ولكن القصة الانسانية ، التى يقدمها « كتابى » على هــذه الصفحات ، والتى كتبها قصـــاص يابانى شاب ، هو « جوارأن هيزامو » ، تؤكد ـ فى وضوح ـ أن الشخصية اليابانية ما زالت قائمة خلف أستار المظاهر ، وأن حضارة اليابان وتقاليدها لا تزال مكينة متأصلة .. حتى فى نفوس الاطفال !

● تلقى مدرس الصف الأول باحدى المدارس الابتدائية، الواقعة بالقرب من المعسكر الأمريكى ، استدعاء من الشرطــة المحلية فى (أستوجي) ، بصــدد أمر يتعلق بأحد تلاميذه .. وحين كان فى حجرة الانتظار ، دخل المأمور ، وتبعته سـيدة تتألق عيناها بحيوية طاغية أثارت دهشة المدرس .. وقدمها المأمور اليه قائلا ، وهو يجلس فى مواجهته : « آسف لازعاجك .. الآنسة مشرفة اجتماعية ، تهتم باصلاح الشبيبة فى المدينة .. ولما كان قسم الشرطة التابع لنا قد انشىء حديثا ، وليس لدينا قسم خاص بالأحداث ، فقد طلبنا الى الآنسة أن تجىء لمعاونتنا .. وأود أن أخبرك بأن الموضوع الذى استدعيناك من أجله ليس خطيرا ، فلا داعى لأن تقلق ! »

وتدخلت المشرفة قائلة « ان الموضوع كما ذكر السيد المأمور ليس خطيرا فى حد ذاته .. فان تلميذك لم يرتكب — فى الواقع — جريمة كبرى .. **كل ما هنالك انه قام باشعال النار فى حصن قديم ، ولكن بعض المهمات المملوكة للأمريكيين كانت مودعة فى هذا الحصن ، ونحن بالطبع نشك فى ان يكون هذا الغلام قد اشعل النار متعمدا .. لابد انه كان يلعب لعبة القراصنة ، أو اى شىء من هـذا القبيل .. غير انه يرفض باصرار ان يفتح فمه ، ونحن فى حاجة الى اى عذر او تعليل نذكره فى التحقيق !**

وقال المأمور : « اننا لا نريد ان نحتجزه هنا أكثر مما احتجزناه ، ولكننا لا نستطيع أن نخلى سبيله ما دام التحقيق لم ينته ، ولذلك طلبنا اليك الحضور ، فأنت معلمه ، ولابد انك تعرف عنه ما يزودنا ببعض المعلومات عن طباعه ، وعن حياته العائلية ، وما الى ذلك .. ومن ثم تستطيع أن تكتب تقريرا بنتيجة التحقيق ، ونطلق سراحه » .

فانحنى المدرس فى ادب وقال : « لا يسعنى الا أن اشكر لك المشقة التى تتجشمها من أجل هذا الطفل » .. فقال المأمور : « لتدخل فى الموضوع ! »

● ●

● وفتحت المشرفة ملفا ، وأخذت تقرأ بعض ما جاء فيه :

« تارو ترومى .. ستة عشر عاما وشهران .. ولد فى (سايبان) ، وهو الآن بالفصل الدراسى الثانى من السنة الأولى بمدرسة « سان جوزيف » الابتدائية .. ويتمتع بمنحة « ادان » الدراسية .. كان والده يعمل خبيرا فى الارصاد ، لحساب مكتب الادارة اليابانى ، وتوفى عام ١٩٤٠ . **اما امه فكانت موظفة فى شركة « نانيو كاهاتو » ، ومن المرجح**

انها لقيت مصرعها عند استيلاء الأمريكيين على (سايبان) .. »

ثم وجهت المشرفة الكلام الى المدرس قائلة : « كيف يكون « ثارو » فى مثل هذه السن ، ولا يزال فى الصف الأول ؟.. انه متأخر . أليس كذلك ؟ »

فقال المدرس : « عند انتهاء الحرب ، ارسل « ثارو » الى (هاواى) مع مجموعة من الايتام ، والحق باحدى المدارس الأمريكية التى تكاد أن تكون معادلة لمدارسنا الابتدائية . وقد قضى بها ست سنوات ، جاء بعدها الى اليابان ، وسجل بمدرسة « سان جوزيف » .. وكان من المفروض أن يلتحق بالصف الخامس ، الا أن معرفته باللغة اليابانية لم تكن كافية .. »

ـ ماذا تقصد بمنحة « أدان » ؟

ـ انها ليست منحة بالمعنى الدقيق .. كان « ادان » ضابط استعلامات أمريكيا مسئولا عن الأيتام فى (سايبان) ، فاختار منهم خمسة ، تكفل هو شخصيا بنفقات دراستهم ، بشرط أن يتجهوا فيما بعد الى دراسة علم اللاهوت .. ولدينا ثلاثة من هؤلاء الأطفال فى مدرسة « سان جوزيف » .

ـ عندما مات والد « ثارو » ، كان الطفل فى الرابعة من عمره .. فالأرجح أنه لا يتذكره . أما أمه ، فهل تستطيع أن تحدثنا عن أى صنف من النساء كانت ؟

كانت من ذلك الصنف من النساء الذى يمكن أن نسميه بالنساء المثقفات .. فقد كانت حاصلة على شهادة من جامعة (طوكيو) ، وكانت مديرة الموظفات بالشركة التى كانت تعمل بها فى (سايبان) .. **ولكنها بعد ذلك قامت بانشاء مركز للترفيه عن الضباط يسمى « هاللو » .. وكانت جميلة جدا ، بل لعلها مفرطة الجمال .. فكانت النساء يكرهنها !**

ـ وهل كان الطفل يعيش فى هذا الوسط ؟

ـ كلا ، فقد ذكرت لك أن أمه كانت مفرطة الجمال ، ومن ثم كانت فرصـــة اللهو والمتعة كثيرة أمامهـا ، فكانت مشغولة لدرجة لا تستطيع معها أن تهتم بالطفل . ولذلك عهدت الى مبشر فى احدى جزر المحيط الهادى ، كان يعيش هناك منذ أيام سيطرة الألمان على تلك الجزر !

ـ اذن ، فالطفل لم يتأثر ـ أيما تأثير ـ بالحياة التى كانت تحياها أمه ؟

ـ كلا ، بل انه يجهل تماما ما يمكن ان يعرفه شاب فى مثل سنه عادة .. فمثلا هو لم يذهب الى السينما مطلقا .. وهو مجتهد فى عمله ، ولكنه يحيى حياة صارمة قاسية ، الى درجة تثير قلقى فى بعض الأحيان !

فقـالت المشرفة ، وهى تقلب صـفحات الملف الخاص بالغلام :

ـ جائز !.. ولكن هل علمت أنه فى الثـالث من مايو ، تنكر فى زى فتاة ، وراح يبيع زهورا فى حى (چينزا) ؟.. لقـد لمحته احدى زميلاتي ووجهت اليـه انذارا .. وهل تعـرف أنه اسـتدرج ـ فى يوم من الأيام ـ بعض الجنـود الامريكيين من أمام باب المعسكر ، واصطحبهم الى طوكيو .. **ومنذ أيام قليلة ، وجدوه ـ فى الساعة الثالثـة صباحا ـ بالقرب من محطة (ابريا) ، على خط قطار (سجانى) ، وهو فى اشد حالات السكر .. وكاد ان يدهمه قطار الصباح لولا انه انقذ فى آخر لحظة ؟**

وسادت ـ بعد ذلك ـ لحظة صمت ، لم يكن يقطعها سوى صـفير الرياح التى كانت تعوى خلال الأعشـاب الجافة فى الحقول ..

● ●

● وما لبثت المشرفة أن قالت ، محاولة أن تخفف من الم المدرس :

ـ انك تعرف الطفل منذ زمن بعيد ، وأنا واثقة من أنك لم تكن تتخيله الا فى أفضل صورة ، وانه لم يرتكب أمامك ابدا ما يضطرك لأن تلومه أو توبخه .. ولكن من الجائز أن تكون أخلاقه قد تغيرت فى المدة الأخيرة .. أصبح يتنكر فى صورة فتاة ، ويسكر ، ويلعب لعبة القراصنة ، ويلهو باشعال النار فى مكان من المحظور دخوله حظرا تاما .. هذه الأعمال التى تختلف فى صورتها ، ولكنها تشكل نهجا واحدا من السلوك ، يبدو أنه تعبير عن التمرد على سائر الأوضاع .. أو ربما كان مصابا بخلل نفسى .. ولكن لا بد أن يكون ثمة سببا اساسيا لهذا التحول .. ان الشخصية لا تتحول هكذا بين يوم وليلة ، ومن المحتمل أن تكون هناك ذكرى مؤلمة تدفعه لأن يتصرف على هذا النحو .. فهل تستطيع أن تمدنا باى معلومات فى هذا الشأن ؟

فقال المدرس ، وهو يهز رأسه : « لست أعلم ان كان الحادث الذى أعرفه سيفيدكم ، ولكنه ـ بلا شك ـ قد أثر فى « ثارو » تأثيرا شديدا .. فقد حاولت أمه أن تقتله يوما ، وقد عثرنا عليه ـ أنا و « أدان » ـ فاقد الوعى تحت أحدى الأشجار ، فى هضبة (شيما ليتا) ، وقد التف حبل حول رقبته ثلاث لفات ، وكان يضغط على رقبته ضغطا شديدا ، حتى اننا لقينا مشقة فى فكه وازالته ، اذ كان مدهونا بالصابون ، ليسهل انزلاقه !.. ومع أننا أدركنا الدافع وراء هذه الجريمة ، فانها ـ من ناحية العقل والضمير ـ كادت أن تخرجنا عن وعينا . وقد تجشمنا مشقة كبيرة فى اعادة الحياة الى « ثارو » ، حتى لقد كنا فى شك كبير من أن الروح ستعود اليه ، ونقلناه فى سيارة « جيب » الى المستشفى العسكرى ، بعد أن اجرينا له عملية التنفس الصناعى .. فى ذلك الحين ـ كما تعلمون ـ انتحر ثلاثون ألفا من اليابانيين .

المنيين ، اذ كانوا على ثقة من أن الأمريكيين سيقتلونهم على اى حال !.. انتحرت عائلات باسرها بالقنابل اليدوية .. وهناك عائلات أمسك كل فرد من افرادها بيد الآخر ، والقوا بانفسهم من فوق الجبال الى البحر .. ولكن ، فى جميع هذه الحالات كانت الجثث توجد مجتمعة .. اما حالة « ثارو » ، فهى الوحيدة التى وجد فيها طفل واحد بمفرده ! »

وساد الصمت هنيهة ، ثم قطعه المأمور قائلا :

« انها قصة رهيبة ! » .. وأردف ــ بعد لحظة ــ قائلا :

« لا بد ان هذا الحادث كان ذا تأثير عميق فى نفسية الطفل ! »

وتململ المدرس قليلا فى مقعده ، ثم قال : « هل أستطيع ان أراه الآن ؟.. أود أن أوجه اليه بعض الأسئلة .. وقد خطرت لى فكرة ، قد تهدينا الى الطريق » .. فقال المأمور : « بكل تأكيد ! »

وقادته المشرفة الى باب فى الناحية اليسرى ، قائلة له : « من هنا لو سمحت ! »

● ●

● **كان** « ثارو » جالسا على الأرض ، فى غرفة ضيقة مظلمة ، مخصصة للشبان الموضوعين تحت المراقبة ، وكان يتامل السماء خلال نافذة صغيرة ، كأنها فتحة فى قفص عصفور ، وهو يفكر فى الأيام الأخيرة التى قضاها فى (سايبان) ..

كان الظلام الخافت ، والرطوبة اللزجة ، والسماء المعتمة ، والصمت الشامل ، والاعياء الشديد .. هذه كلها كانت تذكره بمغارة (سايبان) ، منذ سنوات .. حيث كانت الصخور مغطاة بالطحالب ، والظلمة والرطوبة يجثمان طوال النهار والليل .. فلم تكن الشمس تعرف طريقا للمغارة

الا قبيل افولها ، اذ ترسل بصيصا منها فينير جدران المغارة ، ويكشف وجوه المختبئين فيها !.. كانت هناك فتاة لم يبق منها سوى الجلد والعظم ، وقد راحت تبحث - بين الصخور - عن بعض حبات ساقطة من الأرز ، فتلتقطها وتفركها ثم تأكلها واحدة بعد واحدة !.. وكان خلفها جندي زائغ العينين ، اخذ يسد رمقه بالعشب البرى ، وقد سالت عصارة خضراء على زاويتي فمه !.. ثم لا يلبث هذا المشهد ان تغيب في أدراج الظلام ، ويزحف على الكوم يوم آخر ..

وفي أحد تلك الأيام ، قال « ثارو » في نفسه : « حان وقت الذهاب لاحضار الماء » .. كان ينتظر هذه اللحظة نافد الصبر ، فمنذ ان أقام في المغارة وهو يشعر بسعادة غامرة لوجوده بصحبة امه وقيامه بخدمتها !.. كان ينتظر منها كلمة ، وقد تعلقت عيناه بمحياها الجذاب .. ولم تلبث أن قالت له : « اذهب لتحضر لي ماء يا ثارو ! » .. كان حين يسمع صوتها يرتعد حبا وحنينا ؛ وكان على استعداد لأن يعمل أي شيء من أجلها ..

وكان نبع الماء العذب على مسافة خمسين مترا الى أسفل المغارة ، فكان لزاما عليه أن يتدلى على طول الصخرة المدببة كل هذه المسافة ، مما كان يسبب الدوار له ، ولو انه لم يكن يحمل الا زجاجة فارغة .. فضلا عن ان الجنود الأمريكيين الواقفين فوق الصخرة ، كانوا يطلقون النار على كل شيء يتحرك !.. ولكن ثارو لم يكن خائفا على الاطلاق ، ولم يكن مدركا للخطر بأية حال .. وانما كانت السعادة تفيض في قلبه ، اذ يشعر بأن في وسعه أن يقدم الى امه شربة ماء !

وحدث نفسه قائلا : « كم كان عمري حينذاك ؟ » .. ثم راح - وهو يحك رأسه في جدار « الزنزانة » - يتلو عن ظهر قلب : « أيها العابر ، اذهب وقل للاسيديمون ، اننا

تنفيذا لأوامر الملك ، ننام هنا » !.. وكانت أمه قد لقنته القصيدة ، وجعلته يكررها مرارا حتى حفظها ..

وقالت له أمه : « ان (لاسيديمون) هي (اسبرطة) .. وقد تصدت حفنة من جنودها ــ منذ الفى عام ــ لجيوش الفرس واوقفت زحفها ، فى مكان يسمى (ترمويولين) .. وماتوا جميعا فى المعركة ، فأقيم ــ فى ذلك المكان ــ نصب كتبت عليه هذه الكلمات .. الم يكن أولئك الأسبرطيون شجعانا ؟ .. يجب الا ننساهم ! »

● ●

● كانت أمه تحاول ــ بالأحلام الجميلة ــ ان تنسيه قسوة تلك اللحظات الرهيبة .. ولكن الكارثة لم تلبث ان حلت أخيرا .. وانه ليتذكر كيف كان الاباء والأبناء كانوا يتماسكون ، ثم يلقون بأنفسهم من أعلى الجبل متعانقين ، أو يربطهم جميعا بحبل متين .. وكانت مياه البحر تتلقاهم .. وفى كل يوم ، كانت تختفى مجموعات أمام عينيه بهذه الطريقة !.. وكان « ثارو » يتصور أنه سيرتمي فى البحر ــ فى النهاية ــ وهو ممسك بيد أمه ، ولذلك لم يكن يشعر باى خوف او حزن على الاطلاق !..

وكانت الشمس الآفلة تصبغ السماء بلون وردى فاتن ، فى تلك الأمسية الهادئة التي تناولت فيها أمه حبلا ، وطلبت منه أن يخرج معها من المغارة ، وهي تقول له : « انك لا تحب ان افعل بك هذا على مشهد من كل هؤلاء القوم ، فتعال الى الخارج ! »

وفى تلك اللحظة ، لم يكن « ثارو » يتصور أنه سيموت بمفرده .. ولكنه حين أدرك أنها تنوى أن تخنقه ، أذعن لارادتها ، وسار وراءها حتى أعلى الجبل ، مبديا لها وجها مشرقا باسما .. كى يسعدها !

— ٢ —

● أقبلت المشرفة فقادت « ثارو » الى الغرفة المجاورة ، حيث جلس — على المنصة — المدرس الذى كان يعرفه « ثارو » ورفاقه باسم « سان جان » .

وكان « سان چان » رجلا من (أوكيناوا) ، يعمل مديرا لمزارع قصب السكر فى (سايبان) ..

وتقدم منه « ثارو » ، فراح المدرس يعظه بطريقته المعتادة ، التى كانت تبعث على الضيق .. وبينما كان « ثارو » يصغى اليه ، وهو مطاطىء الرأس ، وقعت عينه الشاردة على المسدس المتدلى من حزام شرطى كان جالسا يكتب ، على منضدة بجوار الجدار .. فقال فى نفسه : « هذا المسدس من نفس النوع ! » .. وقد خطر بباله مسدس كان أحد ضباط البحرية قد سمح له ، حين كان فى المغارة — أن يلعب به !

وواصل المدرس لومه ، قائلا : « انك تنكرت فى زى فتاة ، ورحت تبيع الزهور فى حى (جينزا) » .. فتساءل « ثارو » — فى نفسه — عمن يمكن أن يكون قد أخبر المدرس بهذه الأمور .. أهى المشرفة ؟ أم « توناكو » ، زميله فى الدراسة ، الذى أعاره رداء الفتاة ؟

واستطرد المدرس متسائلا : « انك لا تحب أن تكون عالة على غيرك ، ولذلك فكرت فى أن تكسب عيشك بنفسك ، أليس كذلك ؟ وانني لأحترم نزوعك الى الاستقلال ، ولكن ما الذى يدعوك الى أن تتنكر فى زى فتاة ، وتبيع الزهور ؟ »

قال « ثارو » فى نفسه : « أما فى هذه فانك أخطأت » !.. لقد ارتدى زى بائعة زهور حقا ، ولكنه لم يكن يبيع زهورا .. ان المدرس لم يكن يدرى شيئا !

كان « ثارو » قد سمع فى (هونولولو) أن أمه تدير حانة

فى (چينزا) .. فما ان وصل الى طوكيو حتى بحث عن الحانة .. واهتدى اليها ، ولكن دخول الحانات محظور على الاحداث ، فيما عدا بائعات الزهور وعازفات ((الأكورديون)) .. والجميع يعرفون ذلك !.. فما كان من « ثارو » الا ان استعر رداء بائعة زهور ، ولبسه ـ فى أمسية يوم من أيام الأحد ـ ثم توجه الى الحانة التى كانت أمه تديرها .. ولم يكن بها رواد كثيرون . وكانت أمه منحرفة المزاج ، فما ان راته حتى صرخت فى وجهه فى غضب : « يا لك من وقح !.. كم مرة حاولت أن تدخل هنا ؟.. ان روادى لا يرغبون فى زهورك ! » . وفى مرة أخرى ، امسكت خادم بثوبه ، وألقت به الى خارج الحانة .. ومع ذلك عاد ثانية !

● ●

● ومضى المدرس (ســان چان) فى توبيخه قائلا : « .. وكنت تصحب ـ فى سيارات الأجرة ـ اناسا ممن يأتون من (كوريا) ، فى أيام السبت . وقد جلب عليك هذا العمل شيئا من المال . ولكننى أشعر بالأسف حين أتصور أنك تستغل معرفتك باللغــة الانجليزية فى هــذه الأغراض الوضيعة ! »

وهنا قال ((ثارو)) فى نفسه : ((وهذه المرة أيضا ، لم تفهم شيئا يا سان چان !.. فانا لم أكن أسعى لكسب النقود لنفسي ، وانمــا رأيت ان رواد الحانة ـ التى كانت أمى تديرها ـ قليلون ، فحاولت ان اجيئها بمزيد من الرواد)) !

لقد أراد أن يساعد أمه دون أن تعلم ، ولكنه ارتكب خطأ جسيما .. اذهب يوما الى حــانة صــغيرة ، بالقــرب من معسكر (فيزنام) ـ الذى يعتبر ملتقى لسائقى ســيارات الأجرة ـ كى يطلب سيارة ، فبادره أحد السائقين قائلا : « ان صاحبة الحانة التى تتحدث عنها هى أمك ، أليس كذلك ؟..

انك حقا ولد بار جدا ، ولكن هل تعلم أيها الصغير ما تفعله أمك مع الرجال الذين تذهب بهم اليها ؟ »

واذ سكت « ثارو » ، أردف السائق قائلا : « اذا كنت لا تعرف ، فسأتيح لك معرفة ذلك ! » .. ثم استدعى سائقا آخر وأشار له نحو « ثارو » ، وأسر فى أذنه كلمات ..

فى تلك الليلة ، عاد ((ثارو)) متـأخرا الى عنبر نومه فى مدرسة ((سان جان)) ، وارتمى فوق سريره وهو يتلوى من الألم .. ان امه لم تعد أمه .. انها ليست سوى امرأة !.. ولم تعد لديه رغبة فى هذه الحياة التى أفاق فجأة ، فوجدها بهذا القدر من القسوة والخسة !

واراد أن يموت فى تلك الليلة بالذات ، فأخرج من خزانته كل صور امه وخطاباتها ، ومزقها والقى بها فى وعاء القمامة بالمطبخ .. وتطلع حوله خشية أن يكون قد نسى شيئا منها ، ولكنه لم يكن قد نسى شيئا على الاطلاق .. وحين أدرك أن كل ما بقى عليه أن يفعله ، هو أن ينام قليلا قبل مرور أول قطار ؛ صدم لقصر الفترة التى بقيت له فى الحياة ، فانفجر باكيا !

● ●

● **واستطرد** المدرس « سان جان » ، بلهجة التأنيب والاتهام قائلا : « .. ولقد انتقلت من سيىء الى أسوأ .. هذا طبيعى !.. ويبدو انك كنت تسير مخمورا تماما ، على طول خط السكة الحديدية . وكان مصرعك وشيك الحدوث .. ما كنت أظن مطلقا أن من الممكن أن تنحدر الى درجة ان تشرب الخمر وتسير مخمورا ! »

فقال ((ثارو)) فى نفسه : ((هذا صحيح ، ولكنه فى نفس الوقت خطأ !.. فانا لم اكن قد شربت خمرا ، ولكن من

المحطة انني كنت اترنح كالمخمور !.. كان الفجر وشيكا ، والمصابيح الكهربائية ترسل نورها على طول رصيف المحطة ، وعلامة الاشارة مفتوحة ايذانا بأن قطار الصباح لن يلبث أن يمر بين لحظة وأخرى .. فخلعت سترتى ، وألقيت بها فوق العشب ، ثم استلقيت منبطحا بين قضبان السكة الحديدية ، انتظر أن يمر القطار فوق جسدى .. ولقد مر القطار ، ولكنه لم يمسنى . وسمعت العامل الذى أخذنى الى ناظر المحطة ، يقول له : لو كان يرتدى سترة ، لعلقت اطرافها بالقطار ، وقضى عليه ، اذ كان ينام بين القضبان .. ولكنه لم يكن يرتدى الا قميصا ، وهذا هو الذى انقذه !))

بيد أن فكرة الموت ظلت تسيطر على « ثارو » . وفى ليلة من ليالى الخريف ، سرق بعض البترول من المطبخ ، واجتاز الحقل المترامى خلف عنبر النوم ، ودخل خندقا متهدما .. ثم سكب البترول فوق جسمه ، واشعل النار فى أكمامه .. ولكن الاشتعال كان ضعيفا ، فان البترول الحديث لا يلتهب بسرعة كالبترول القديم .. وسرعان ما اطفأت الرياح اللهب الضعيف ، فحاول مستميتا أن يشعل النار — من جديد — فى اماكن اخرى من ملابسه ، ولكن الاحتراق كان بطيئا ، وقد تصاعد دخان لفت الأنظار ، فلم يلبث الناس أن حضروا ، فوجدوا « ثارو » مختنقا من الدخان ، وقد فقد وعيه .

وقال له رجل الشرطة : « لماذا أشعلت النار فى مهمات الجيش الأمريكى ؟.. سنخلى سبيلك اذا قلت الحقيقة ، والا فستلقى عقابك ! »

ولم يكن « ثارو » يعرف أن بالخندق مهمات .. فضلا عن انه لم يفلح فى اشعال النار فى نفسه !

● ووجد نفسه يصرخ فجأة : « اقتلونى !.. اقتلونى ! »
فصاح سان چان : « أسكت ! » .. ثم نهض وغادر الغرفة مسرعا ، كما لو كان قد تأكد أن « ثارو » قد أصيب بالجنون !

ولم يلبث أن دخل ضابط شاب ، فنزع حزامة وألقاه ـ والمسدس فى جرابه ـ على المنضدة ، ثم استلقى وأغمض عينيه ..

ونظر « ثارو » الى المسدس طويلا .. وكان الشرطى الآخر لا يزال منهمكا فى الكتابة ، على الكتب الملاصقة للجدار ، موليا ظهره نحوه .. فقال تارو فى نفسه : « هذه هى الفرصة ! »

وفى حذر اتجه نحو حزام الضابط النائم ، واخرج المسدس من جرابه ، وتحسس زر الأمان ، ثم جذبه الى الخلف .. ونهض فجاة ، وضغط الزناد ، فاذا بقطع من الجبس تتطاير من الجدار المقابل !

وقفز الضابط النائم مرسلا صرخة مدوية ، واختبأ تحت المكتب . أما الشرطى الآخر ، فقد ألقى بنفسه وراء المكتب ، واخرج مسدسه ، واطلق النار على الصبى الذى كان يمسك المسدس والدخان يتصاعد من فوهته !

وتهالك « ثارو » نحو الجدار الذى خلفه ، واطلق زفرة طويلة ، وقد انبثقت الدموع من عينيه .. ثم سقط على الأرض !

(بقية المنشور صفحة ١٨)

الا لأضلل الحاكم المستعمر الطاغية ، عساى أن أعيش أيضا ، وأن اخدعه يوما ، وأن أتمكن من قتل نفس أخرى من رجاله مرة أخرى !.. وأنت .. أنت أصبحت اليوم من رجاله . أنت الذى ضحيت بأبيك وأمك وخطيبتك ، أصبحت أشد شرا على بلادك من المستعمر نفسه !.. فأنت الذى يجب أن أستكمل به اليوم واجب حقدى وثأرى وجهادى !.. لن أطفىء الشمعة حتى تنطفىء حياتك ، فاذهب ، اذهب الآن جثة هامدة الى معبودتك الفاجرة ايفونا !

وسددت ذراعها ، وهمت بأن تضغط على السلاح وتقتل حفيدها . واذ ذاك ارتجت الحجرة ، ودوى فى فضائها طلق نارى — لم ينبعث من سلاح ماريا — أصاب كارلو فى صدره ، والقى به على الأرض صريعا مضرجا بدمه . فذهلت العجوز وجمدت ، ثم تلفتت مذعورة وحدقت ..

اذ ذاك أبصرت تجاهها ، على حافة النافذة المفتوحة ، هيكلا ضامرا تعرفه ، هيكل خطيبة كارلو ، هيكل الفتاة البطلة المجاهدة التى خدعها الشاب وغرر بها وانصرف عنها الى الفاجرة ايفونا . فاندفعت اليها العجوز والسلاح مشهر فى يدها ، وضمت الفتاة الى صدرها وهتفت :

— مرحى !.. مرحى لك يا جلوريا !.. لو انك تاخرت لحظة واحدة لكنت انا التى قتلته لا انت !

فغمغمت الفتاة وهى ترتجف :

— انا لم اقتله لأنه خان عهدى ، بل لأنه خان وطنى . ولقد عرف الزعيم بخيانته فاختارنى انا للقضاء عليه !

فصاحت العجوز وهى تدفعها :

— اذن فاسرعى .. أسرعى بالفرار من هنا والا اتهمك

الحاكم بالجريمة ، أو اعتبرك شريكة فيها ، فعوقبت بالموت لا محالة . انقذى نفسك يا جلوريا . صونى حياتك من موت رخيص بيد العدو . انت شابة وقوية وباسلة والمجاهدون فى حاجة اليك . أما أنا فأى نفع من حياتى ، والى أين يمكن أن اذهب الآن ؟ .. **لقد كان فى عزمى ان أقتل الخائن — وهو حفيــدى — وأتحمل كل شيء .. ففرى أنت اذن بنفســك ودعينى اعترف بانى أنا القاتلة وأتحمل وحدى كل شيء !**

فلم تعترض الفتاة . ولكنها أجهشت بالبكاء ، ومضت تلثم فى حرارة يد العجوز . فعانقتها ماريا وقبلتها ، ثم دفعتها عنها واستعجلتها .. وظلت واقفة تتبعها النظر ، وهى تعدو مسرعة وسط الحقول ..

ولما اختفت الفتاة ، تحولت العجوز نحو مقعدها ، وتأملت لهب الشمعة الكبيرة لحظة ، وأطفأته .. ثم أرسلت نفســا مستطيــلا ، وارتمت على المقعــد .. ولبثت هادئة ثابتــة ، تنتظر مصيرها !



ترجمة : رمسيس فرعون المحامي

.. لو عاد الشباب !

كل فرد لا بد ان يسائل نفسه يوما : « كيف أتصرف لو أتيح لى ان أعيش عمرى مرة اخرى ؟ هل أستفيد من التجارب التى مرت بى ؟ ».

انه ولا شك سؤال مثير .. وبوحى من هذا السؤال ، نبعت هذه القصة .. فهى مبنية حول فكرة « ينبوع الشباب » واثره فى اعادة الشباب ...

وفى هذه القصة يقدم « هاوثورن » اجوبة قد تثير اعظم الدهشة، الا انها يمكن ان تكون منطقية ومعقولة فى الوقت نفسه .

● فى احدى الأمسيات ، دعا الدكتور « هايديجر » أربعة من معارفه المحترمين ، ليقابلوه فى عيادته ... كان ثلاثة منهم رجالا دب الشيب فى شعرهم ، هم مستر « مدبورن » ، والكولونيل « كليجرو » ، ومستر « جاسكونى » .. أما رابعتهم ، فكانت عجوزا متصابية ، هى الأرملة « ويشرلى » .

كانوا أربعة مسنين بائسين ... صادفتهم التعاسة فى حياتهم . ولعل أكبر تعاسة صادفتهم ، هى أنهم حتى الآن لم يذووا فى قبورهم ، ليستريحوا من الآلام التى تلاحقهم وتأخذ بخناقهم !

كان مستر « مدبورن » ـ فى مستهل حياته ـ تاجرا ناجحا مرموقا ، ولكنه فقد كل ثروته فى مضاربات محمومة ، وأصبح فى حالة لا يحسد عليها .

ولقد أضاع الكولونيل « كليجرو » أفضل سنى عمره ، كما أضاع صحته وثروته ، فى البحث عن الملذات المحرمة ، التى

ادت به الى كثير من الأمراض المؤلمة ـ كالتهاب المفاصل والنقرس ـ فضلا عن الكثير من الآلام الأخرى ، التى سقط صريعها روحا وبدنا ...

اما مستر « جاسكونى » ، فكان سياسيا محطما .. كان رجلا ذا سمعة سيئة ، أو هكذا كانت شهرته من قبل ـ على الأقل ـ حتى محا الزمن اسمه من ذاكرة الجيل الحاضر ، فأصبح مغمورا بعد أن كان مرموقا ...

هذا عن الرجال المسنين الثلاثة ...

أما الارملة « ويشرلى » ، فان الشائعات تنقل الينا انها كانت ملكة تتربع على عرش الجمال ابان ريعان شبابها ، ولكنها اصبحت تعيش ـ ومنذ أمد طويل ـ فى غمرة النسيان ، بسبب بعض الأقاويل الفاضحة التى تناثرت عنهـا ، والتى آذت اسماع الطبقة المحترمة فى المنطقة .

ومما هو جدير بالذكر ، ان الرجال الثلاثة كانوا قد وقعوا فى غرام الأرملة « ويشرلى » ـ وهى فى ريعان شبابها ـ وبلغ بهم التزاحم من اجل الفوز بقلبها حد التضارب والعراك !

وقبل أن نوغل فى سرد قصتنا ، يهمنا أن نقول أن الدكتور « هايديجر » وضيوفه الأربعة كانوا جميعا يستبد بهم القلق ، ويسيطر على جوانحهم ومشـاعرهم ، كما هى حال كل من تقدمت به السن ، سواء كان ذلك ناجما عن متاعب معاصرة ، أو عن ذكريات أليمة مريرة ...

● ●

● وبدأ الدكتور « هايديجر » حديثه ، مشيرا الى ضيوفه بالجلوس : « أيها الأصدقاء الأعزاء .. اننى لفى شديد الحاجة الى معونتكم فى احدى التجارب ، التى تعلمون اننى اسلى بها نفسى هنا ـ فى عيادتى ـ بين الفينة والفينة » .

ولقد كانت عيادة الدكتور « هايديجر » مكانا مثيرا حقا

.. كانت تتكون من غرفة واحـــدة مظلمة ، أكلّ الدهر على الأثاث الموجود بها وشرب ، وعشش العنكبوت فى أركانها .. وحول الحوائط الكالحة ، كانت ثمة رفوف تعـلوها الكتب ، فملأت الرفوف السفلى منها كتب ضخمة تناهت فى الضخامة .. أما الرفوف العليا فكانت تشغلها كتيبات مكسوة بالجـلد الأسود الموشى بحروف ذهبية .

وفى ركن من قاعة المكتب ، كانت هناك مائدة يعلوها تمثال نصفى لأبوقراط اله الطب ، كان الدكتور « هايديجر » ـ كما تروى الاشاعات ـ يستشيره فى جميع الحالات المستعصية التى يتعرض لبحثها وفحصها .. وفى أشد أركان الغرفة ظلاما ، كانت ثمة خزانة شامخة ، بدا من أحد مصراعيها هيكل عظمى يترنح فى حركات رتيبة !

ولم يكن يكسو الجدران سوى ستائر قديمة العهـــد ، ومرآة يحوطها اطار مذهب بهت طلاؤه .. **ومن الأساطير التى تروى عن هذه المـرآة ، أن جميـع أرواح مرضي الدكتـور ((هايديجر)) ـ الذين انتقلوا الى العالم الآخر ـ كانوا يعيشون فى اطارها ، ويحملقون فى وجه الدكتور عندما يتطلع اليها !**

وعلى الجانب الآخر من جدران الغرفة ، كانت هنـــاك صورة ـ بالحجم الطبيعى ـ لسيدة فى مقتبل الشـــباب ، فى ثوب باهت من الحرير الغالى المطرز بالساتان .. وكان وجهها باهتا كثوبها ! .. ولقد كان الدكتور « هايديجر » على أهبـــة الزواج من هذه السيدة ـ منذ حوالى نصف قرن ـ ولكنهـــا فى فترة اضطرابها ، قبيل الزواج ، ابتلعت قرصا أوصاها به خطيبها لتهدئة أعصابها ، فاذا به يؤدى الى وفاتهـــا فى نفس ليلة زفافهـــا .

أما أكثر ما كان يبعث على العجب فى العيادة ـ بعد كل ذلك ـ فهو كتاب ضخم مكسو بالجـــلد الأسود ، وتحيـط

باطرافه مشابك من الفضة الخالصة .. ولم يكن يحمل على ظهره اية حروف ، لا ولم يقدر احد ان ينبئنا باسمه ، ولكن .. كان من المعروف انه كتاب عن السحر !

وفى احدى الأمسيات ، حاولت احدى الخادمات رفعه ، لكي تزيل التراب من تحته ، فاضطرب الهيــكل العظمى فى خزانته ، وتقدم خطوة على الأرض الى الأمام ، كما برزت عدة وجوه مخيفة ، أطلت من المرآة ، بينما تجهم التمثال النصفى لابوقراط ، وهو يصيح : ((كفى عن هذا !))

هكذا كان مظهر عيــادة الدكتور « هايديجر » ، حينما اجتمع وضيوفه الأربعة حول مائدة مستديرة فى لون الأبنوس الأسود اللامع ، يعلوها اناء للزهور من « الكريستال » الغالى ، ينم عن ذوق رفيع .. وكانت أشعة الشمس الغاربة تتسلل الى الغرفة من بين ثنيات ســتارتين من الحرير الدمشقى الغالى ، لتقع مباشرة على اناء الزهور فينعكس ضوؤها على الوجوه المغبرة للأشخاص الخمســة الملتفين حول المائدة .. كما كان على المائدة أربع كؤوس فارغة من كؤوس الشمبانيا !

ووجه الدكتور حديثه الى ضيوفه الأربعة قائلا :

« أيها الأصدقاء الأعزاء ، . هل لى أن أعتمد عليــكم فى القيام بتجربة تتناهى فى الغرابة ؟ »

● ●

● والآن ننتقل الى الدكتور « هايديجر » نفسه . كان سيدا متقدما فى السن ، غريب الاطوار ، حتى أصبح شذوذه نواة لعشرات القصص الخيالية التى تحاك حوله .. ولعلى انا (الكاتب) ، من أصحاب بعض هذه القصص . فاذا ما هزت قصتى وجدان القارىء ، فانه ليسعدنى أن أساهم فى شــهرة الدكتور وشذوذه !

واذ استمع ضيوفه الأربعة اليه ، وهو يحدثهم عن تجربته المقترحة ، لم يتوقعوا أن تتجاوز قتل فأر فى أنبوبة اختبار ، أو

فحص مجهرى لعنكبوت ، أو احدى هذه الترهات التى كان دائما يحب أن يداعب بها أصدقاءه ومريديه ويبهرهم .

ولكنه ــ دون أن ينتظر ردا منهم ــ عبر الغرفة فى خطوات سريعة ، وعاد حاملا المجلد الضخم الكبير ذا الغلاف الأسود ، الذى قلنا أن الاشاعات تصفه بأنه أحد كتب السحر .. وبعد أن فك المشابك الفضية التى كانت تغلقه ، فتح الكتاب ، والتقط من بين صفحاته وردة .. أو شيئا كان وردة فى وقت ما ، ولكن أوراقها ذبلت وتغضنت ، فبدا أنها كانت على وشك التهشم والانهيار بين أصابع الطبيب النحيلة الطويلة ..

قال الطبيب وهو يتنهد :

« هذه الوردة .. هذه الوردة بالذات التى ذوى غصنها ، كانت فى أوج نضارتها منذ خمس وخمسين سنة ... لقد أعطتنيها « سيلفيا وارد » التى ترون صورتها خلفكم فوق الجدار .. وكنت على وشك أن أضعها فى عروة سترتى يوم الزفاف !.. وهى ــ منذ ذلك الحين ــ وهى تقبع بين أوراق هذا المجلد ... **والآن ، هل بوسعكم أن تتصوروا أن من الممكن لهذه الوردة ــ التى يرجع عهدها الى هذا الزمن السحيق ــ أن تستعيد رواءها فى لحظة واحدة ؟! »**

هنا لم تتمالك الأرملة « ويشرلى » نفسها ، فصاحت فى حركة عصبية : « كلام فارغ !.. كأنى بك تريد أن تقول أيضا ، أن السيدة العجوز المغضنة الوجه يمكن أن تستعيد رونقها ، هى الأخرى ، فى لحظة واحدة ! »

قال الدكتور هايديجر : « انظروا اذن ..! »

ثم كشف الغطاء عن اناء الزهور ، وألقى بالوردة الذاوية فى الماء الذى كان يملأه .. وفى أول الأمر ، ظلت الوردة ساكنة تطفو على سطح السائل لا تتشرب شيئا منه .. **ولكن أمرا غريبا بدأ يبدو ــ وفى بطء ــ بعد لحظات .. فاذا الأوراق**

الذاوية تستعيد رونقها رويدا ، واخذ العنق المتيبس يسترد اخضراره .. كما لو كانت الوردة تفيق من حلم طويل عميق ! .. وان هى الا دقائق معدودات حتى بدات الوردة فى نضارتها التى كانت عليها منذ نصف قرن ، يوم اهدتها ((سيلفيا وارد)) الى خطيبها لاول مرة ، وقد بدت بعض نقط الماء تلمع على اوراقها كاللؤلؤ فوق القطيفة الحمراء .

وصاح أصدقاء الطبيب بدون اكتراث ، اذ كانـــوا قد شاهدوا ــ من قبل ــ معجزات أكبر وأعظم ، فى عروض قام بها بعض الحواة « انها ولا شك خدعة باهرة !.. بربك كيف قمت بها ؟ »

اجاب الطبيب : « الم تسمعوا أبدا عن ينبوع الشباب ، الذى حاول المغامر الأسبانى « بونس دى ليون » البحث عنه ، منذ قرنين من الزمن أو يزيد ؟ »

فتساءلت الأرملة ويشرلى : « ولكن هل استطاع بونس دى ليون العثور عليه ؟ »

ــ كلا .. لأنه لم يبحث عنه أبدا ، فى مكانه الحقيقى . فان ينبوع الشباب ــ اذا كان ما وصل الى علمى عنه صحيحا ــ يقع فى الجــزء الجنوبى من شـــبه جزيرة (فلوريدا) ، ويتــوارى منبعه فى غابات كثيفة من اشجار (الماتوليــا) الضخمة ، التى لا تزال ــ برغم مرور السنين الطويلة ــ يانعة كزهور البنفسج ، بفضل مياه هذا الينبوع ... ولما كان أحد اصدقائى يعرف تضلعى فى مثل هذه المسائل ، فقد أرسل لى خصيصا هذا القدر من المياه الذى ترونه فى اناء الزهور !

وتساءل الكولونيل « كليجرو » ، وهو لا يصدق كلمـة واحدة من قصـــــة الدكتور : **((وماذا يمكن ان يكون اثر هذا السائل على الجسم الانسانى ؟))**

فأجاب الدكتور هايديجر : « ســوف تحـــكم بنفسك يا صديقى الكولونيل !.. اذ انكم ــ ايها الأصدقاء المحترمين

ـ مدعوون الى أن تتناولوا من هذا السائل قدر ما تستطيعون لكي يعيد اليكم نضارة الشباب .. أما أنا فقد عانيت كثيرا فى دنياى حتى وصلت الى سن الشيخوخة ، فلم أعد متلهفـنـا للرجوع مرة أخرى الى سن الشباب !.. لذلك فكل ما سأفعله هو أن أرقب مدى نجـاح هـذه التجـربة اذا سمحتم لى بذلك ! »

● ●

● واخذ الدكتور « هايديجر » يملأ كؤوس الشمبانيا من ماء ينبوع الشباب ، وهو يتكلم .. وبدا الماء فوارا ، لأن بعض الفقاقيع اخذت تطفو من القـاع الى وجه الماء ، على شكل حبيبات فضية لامعة .. بينما انتشر فى الجو شـذى رائحة طيبة ، مما جعل المسنين الأربعة لا يشكون برهة فى أن يكن لهذا السائل مفعول غريب ولا بد ، فحثهم هذا على أن يمدوا أيديهم بسرعة الى الكؤوس ليجرعوا ما بهـا . ولكن الدكتور « هايديجر » أومأ اليهم بيده أن يتريثوا برهة ، وهو يقول : « عليكم قبل أن تشربوا ، أن تقدروا ما أنتم مقدمون عليه ، مسترشدين فى ذلك بخبرة حياة كاملة !.. ماذا ينبغى أن تفعلوا اذا ما رجعتم مرة أخرى الى سنى شبابكم وسـط مخاطر الحياة الحالية ؟.. تصوروا كم يكون الأمر مشينا ، اذا لم تصبحوا نماذج للفضائل ، وعنوانا للحكمة ، ومثالا يجب أن يحتذيه جميع شباب عصرنا الحاضر ! »

وظل أصـدقاء الطبيب لا يحيرون جوابا .. كانت كل لهفتهم تتجه الى شرب الميـاه بأسرع ما يمكنهم ، ليقتنصوا كل دقيقة من الوقت .. فكل دقيقة تنقضى ، باتت فى نظرهم عبثا وهباء ؟

وقال الدكتور ، وهو يشير الى الاناء : « اشربوا اذن ،

فانا على ثقـة الآن من انني قد اخترت من يناسب تمـاما موضوع تجربتي ! .»

وبايد مرتعشة ـ موزعة بين التردد واللهفة ـ رفعـوا الكؤوس الى افواههم ، وقد بدوا وكانهم لم يروا شـبابا او متعة في حياتهم كلها .. بل كانهم ولدوا مسنين ، فهم يتطلعون الى ان يعرفوا ما تناهى الى سمعهم عن متع الدنيا وزخرفها .. وبعد ان افرغوا كؤوسهم ، اعادوها الى المـائدة وظلوا يترقبـون !

وسرعان ما لوحظ تطور غريب على وجوه الجماعة .. لم يكن تطورا كذلك الذى يحدث عقب شرب زجاجة من الخمر المعتقة ، ولكن .. كأنمـا كان ثمة ضوء وهاج أنار وجوههم فجأة ... وظهرت لمحة من الصحة تكسو وجوههم. وتمحـو عنها تلك الجهامة الكابية التى كانت تبديها كوجوه الموتى!.. واخذوا يحملقون فى وجوه بعضهم بعضا ، وهم يخالون أن معجزة حلت لتمسح أحزانهم ، وتزيل آلامهم التى اضفاها الزمن على جباههم وملامحهم !

واخذت الأرملة « ويشرلى » تعدل من وضع قبعتها ، اذ شعرت بأنها عادت ناضرة الأنوثة مـرة أخـرى ، وقالت : « ناولنا المزيد من هذه المياه العجيبة !.. اننا الآن أصغر مما كنا ، ولكننا لا نزال كبار السن .. بسرعة ، بسرعة .. ناولنا المزيـد ! »

ورد الدكتور « هايديجر » ، الذى ظل صامتـا طول الوقت ، يرقبه التجربة فى رزانة الفلاسفة : « صبرا ، صبرا ! .. لقد وصلتم الى السن التى كنتم عليها بعد عمر طويل .. ولن ينتقص من اغتباطكم ان تستغرق عودتكم الى الشـباب نصف السـاعة فقط !.. وعلى أى حال ، فالمـاء تحت تصرفكم ..! »

وعاد يملأ الكؤوس من مشروب الشباب . وبقى فى اناء الزهور من الماء ما يكفى لأن يحول نصف سكان المدينــة من الشيخوخة الى اعمار احفادهم !

● ●

● وفى حركة بادية الانفعال جذب الأربعة كؤوسهم من على المائدة ، وأفرغوها فى حلوقهم دفعة واحدة .. ترى هل كان الأمر خداعا ؟ ؟ لقد كان الشراب ــ وهو ينســاب فى حلوقهم ــ يبدو وكأنه يسجل أثرا على كل كيانهم .. اذ بدأت عيونهم تلمع وتفيض بنظرة أكثر رقة وشـــبابا .. وجلسوا حول المائدة : ثلاثة رجال فى أوسط العمر ، وسيدة تكاد تكون فى ربيع الحياة !

وصاح الكولونيل « كليجرو » ، وعيناه مثبتتان عــلى وجهها ، الذى بدأت مظاهر الشيخوخة تبارحه كمايتسلل الظلام عندما يغزوه نور الفجر : « سيدتى ، كم أنت فاتنة ! »

ولكن السيدة الفاتنة كانت تعلم ــ بخبرتها القديمة ــ ان أقوال الكولونيل « كليجرو » لا تتسم دائما بطابع الصدق المنبعث من القلب ..

لذلك فقد جرت الى المرآة تستشيرها ، وهى تخشى أن يطالعها على صفحتها وجه العجوز الشـــمطاء التى تعلو وجنتيها آثار السنين الخوالى ..

وأخذ الرجال الثـــلاث يتصرفون بما أوحى بأن لمــاء ينبوع الشباب هذا الاثر الناجح فعلا .. ففيما عدا الدوار الخفيف الذى أحسوا به ــ نتيجة ارتدادهم فجأة عشرات السنوات الى الوراء ــ أخذ الشباب ومرح الشباب وطيشه يسيطر على كل تصرفاتهم !..

وانطلق لسان مستر « جاسكونى » يتشدق بالموضوعات السياسية ، ولكن .. هل تتصل هذه الموضوعات بالأحوال

السياسية فى الماضى ، او هى تتصل بالحاضر ، او المستقبل ؟.. كان من الصعب ادراك هذا ، اذ كان كل ما انساب منه من عبارات ، هو عين ما اعتادوا ان يرددوا خلال الخمسين عاما الاخيرة !.. فراح مستر « جاسكونى » يتحدث عن الوطنية ، والمجد القومى ، وحقوق الشعب .. وكان يتحدث بصوت منخفض ــ احيانا ــ حتى لا يسمعه ضميره ، ويرفع من صوته ــ احيانا اخرى ــ فى نبرة مهيبة ، كما لو ان اذنا ملكية كانت تستمع اليه ، وقد تكافئه عن اقواله بمنصب وزارى !

اما الكولونيل « كليجرو » فقد راح يردد ــ طيلة هذا الوقت ــ نشيدا حربيا حماسيا ، ويدق بكاسه على المائدة فى « سيمفونية » تتجاوب مع النشيد !.. بينما كانت عيناه معلقتين بوجه الأرملة « ويشرلى » ، الذى رجع تماما ــ فى تلك الاثناء ــ الى مقتبل الشباب ..

وفى الجانب الآخر من المائدة ، كان المستر « ميدبورن » منهمكا فى حساب الدولارات التى ستعود عليه من مشروع اعتزم القيام به ، وهو تسيير قافلة من الحيتان والاسماك البحرية الكبيرة ، لتنقل الثلوج من الجبال الجليدية بالمحيطات ، الى بلاد الهند الشرقية الحارة ..

وظلت الارملة « ويشرلى » تحملق مشدوهة فى صورتها المنعكسة على المرآة ، وهى ترحب بها ، وكانها كانت ترى ــ بعد طول فراق ــ صديقا قديما احبته اكثر من اى شىء آخر فى حياتها .. واخذت تزداد بوجهها قربا من المرآة ، لترى ما اذا كان اى ظل للتجعدات باقيا .. وما اذا كان الشيب قد زال تماما من شعرها !!.. واخيرا ، دارت فى حدة ــ وقد اطمأنت تماما ــ لتعود فى خطوات راقصة الى

المـائدة ، وهتفت : « يا عزيزى الدكتور .. بربك امنحنى كأسا أخرى ! »

رد الدكتور مجاملا « طبعا يا عزيزتى ... انظرى ، لقد ملأت الكؤوس فعلا ! »

● ●

● وكانت الكؤوس الاربع ممتلئة فعـلا حتى حافتها بالسائل العجيب الفوار ، الذى كانت حبيباته مواظبة على على الارتفـاع من أسـفل الكؤوس حتى أعـلاها ، كحبات اللؤلؤ ... وبدأ الغسق ينشر ألويته ، ولكن نورا خافتا ظل ينبعث من اناء الزهـور ، وينعكس على وجوه الضيـوف الأربعة ووجه مضيفهم الطبيب المحترم ، الذى ظل جالسا فى مقعده العالى ، يطل فى كبرياء الرجل الوقور على ضيوفه الاربعة وهم يتصرفون كما لو كانوا فى ريعان الشباب !.. فلقد ظلوا — حتى تناولوا الكؤوس للمرة الثالثة — ينظرون فى احترام الى التعبير الرزين الذى كان يتراءى على وجهه .. **ولكن ، ما أن سرى ماء الكأس الثالثة فى عروقهم ، حتى اصبحـوا فى مرح المراهقين وطيشهم !.. وبدا لهم العمـر الطويل — بهمومه وأحزانه وآلامه وأمراضه — قد انحسر ، كما لو كان ذكرى بغيضة الى نفوسهم ، أو شتات حلم مزعج افاقوا منه !.. فلقد احسوا بأنهم ولدوا من جديد .. فى دنيا جديدة !**

وراحوا يرددون : « لقد عدنا الى الشباب ! عدنا الى الشباب !.. »

واصبحوا — وقد زال عنهم كل اثر لرزانة الشيخوخة ووقارها — مجمـوعة من الشباب ، تحكم تصرفاتهم جميعا حماقات المراهقين . وتحول حديثهم الى سخرية لاذعة من الشيخوخة التى كانوا — فترة ما — فرائس لها .. واخذوا

يضحكون من ملابسهم التى عفا الزمن على طرازها ، ومن قبعاتهم العريضة الغريبة ، ومن القفازين القديمين الغريبى المظهر ، اللذين ارتدتهما السيدة الفاتنة التى كانت تجلس امامهم !.. وأخذ احدهم يقلد عجوزا يعرج ، وهو يسير على عكازين وهميين .. ووضع الآخر نظارته على قصبة انفه ، كما يفعل المسنون ، وهو ينكب على كتاب السحر الضخم ، وكأنه يجد صعوبة فى قراءته !.. بينما اتكأ الثالث فى مقعد واسع ، يحاول أن يقلد رزانة الدكتور « هايديجر » ووقاره .. ثم أخـذ الجميع يصيحون ويغنون بأعلى صوتهم وهم يقفزون فى الغرفة !

اما الأرملة « ويشرلى » ـ اذا حق لنا ان نسمى آنسة فى مثل هذا الجمال والسن بالأرملة ـ فقد خطت فى استحياء ماكر نحو المقعد الذى جلس عليـه الدكتور ، وقالت تداعبه : « يا احب الناس الى قلبى .. أليس لك فى رقصة معى ؟ ! »

وهنا علا ضحك بقيـة الشـبان ، وهم يتخيلون مدى الجهد والعناء الذى يتحمله الدكتور الشيخ ، اذا هو رقص مع هذه الآنسة الشابة !

ولكن الدكتور أجاب فى هـدوء : « أرجـو معـذرتك يا سيدتى ، فأنا كبير السن ، ولم أرقص منذ عهد بعيد ، ولكن أيا من هؤلاء الشبان المرحين ، سيسعده ـ ولا شك ـ أن يحظى بالرقص معك ! » .. وهنا هتف الكولونيل كليجرو « تعالى أرقصى معى يا كلارا ! » .. ولكن المستر جاسكونى صـاح فى وجهـه معترضـا : « كلا .. كلا .. أنا الذى سأزاملها فى هـذه الرقصـة ! » .. فتدخل المستر مدبورن قائلا : « بل انا الذى سيرقص معها ، لأنها وعدتنى بالزواج منذ خمسين سنة ! »

● **والتفوا** جميعا حولها : واحد يشدها من كلتى يديها فى انفعال ، والآخر يلف خصرها بذراعه ، والثالث يجوس بأصابعه خلال جدائل شعرها الذهبية .. وهى تحاول — فى تمنع ودلال — أن تفلت من بين أيديهم ، وصدرها الناهد يعلو ويهبط .. ولكن دون أن تبذل من جانبها آية محاولة جدية فى اصطناع ذلك ! كم كان جميلا منظر هذه المنافسة التى كانت جائزتها وجها باسما فاتنا فى مقتبل الشباب !.. **ولكن المرآة الخبيثة لم تعكس هذه الصورة الجميلة ، بل ظلت تعكس صورهم فى شكل ثلاثة شيوخ متهالكين ، فى ملابس قديمة الطراز ، تملأ الأخاديد وجوههم ، وقد راحوا يتنازعون فيما بينهم — بصورة غير مستساغة — عجوزا شمطاء ، عفا عليها الزمن فتركها جلدا على عظم !**

ولكنهم كانوا شبابا .. كانت عواطفهم الملتهبة تؤكد لهم ذلك !.. وعندما أثارهم دلال الفتاة — التى بينهم — الى حد الجنون ، أخذوا يتبادلون فيما بينهم نظرات غاضبة . ثم انقلبت هذه النظرات الى أن أمسكوا برقاب بعضهم البعض . وبينما هم يتلاحمون فى غضب ، انقلبت المائدة بما عليها ، وهوى اناء الزهور الغالى ، فتهشم الى آلاف القطع .. ويجرى الماء الثمين لامعا على أرض الغرفة ، معيدا الشباب الى جناحى فراشة عجوز ، كانت ترقد فى استسلام على أرض الغرفة ، وتهىء نفسها للموت .. فما كاد الماء يلمسها حتى انتفضت ، وانطلقت تطير لتستقر على رأس الدكتور « هايدجر » ، الذى تخلله الشعر الأبيض . وهتف الدكتور : « كلا كلا ، أيها السادة !.. كلا كلا ، يا مدام ويشرلى !.. الآن يحق لى أن احتج على هذه الفوضى الضارية ! » .

ووقفوا صامتين لا يبدون حراكا ، اذ بدا واضحا ان الزمن الضاتى بدا يدعوهم الى العـودة من رحـلة شبابهم الشوقة ، الى وادى الشيخوخة مرة اخـرى !.. واخذوا ينظرون الى الدكتور « هايدجر » ، الذى جلس فى مقعده الواسع حاملا الزهرة التى بلغ عمرها خمسين سنة ، والتى استطاع انقاذها بين أشلاء الاناء المحطم . وباشارة وقور من يده ، عاد الأربعة الطائشون الى مقاعدهم طواعية ، اذ ان الشجار أنهك قواهم رغم شبابهم .. الظاهرى !

واخـذ الدكتور ينـاجى زهرته : « يا لزهرة سيلفيا المسكينة ! انها بدأت تذبل من جديد !.. »

وهذا ما كان يحدث فعلا !.. فقد اخـذت الزهرة فى التغضن ــ والجميع يحملقون فيها ــ حتى اصبحت جافة ، هشة كما كانت ساعة أن ألقى بها الدكتور فى الاناء ، قبل فترة وجيزة !

وقال الدكتور ، وهو يقرب الزهرة لتلامس شفتيه : « اننى أحبها هكذا ، أكثر مما أحببتها فى أوج نضارتها ! » .

● ●

● **وبينما** كان يتكلم ، طارت الفراشة من فوق رأسه ، وحومت مترنحة ، ثم سقطت على الأرض جثة هامدة ..

وبدات قشـعريرة باردة تسرى فى أوصـال الرجال والمراة . اتراها كانت تسرى فى أرواحهم .. أو فى أبدانهم ؟.. هذا ما لم يستطيعوا أن يقطعوا به !.. واخذوا يحملقون فى بعضهم البعض ، ويحسون بأن كل دقيقة تمر عبر الزمن ، تسـلبهم متعـة وشـبابا ، وتحضر أخـدودا جـديدا فى وجوههم !.. **ترى هل كان الأمر كله وهما ؟.. هل كان من الممكن أن تحـدث كل هذه التغييرات المذهلة ، فى مثل هذه**

الفترة الوجيزة ، ثم يعودوا من جديد أربعة ضيوف مسنين ، يجلسون مع صديقهم القديم دكتور «هايديجر» ؟..

وتساءلوا فى حزن : « هل عدنا مسنين مرة أخرى » ؟..

الحقيقة المريرة ، انهم أصبحوا كذلك !.. فقد كان مفعول ماء الشباب سريع الزوال كالخمر !.. وتبخرت النشوة ـ التى خلقها ـ كالفقاقيع التى تملؤه !.. نعم ، لقد عادوا مسنين مرة أخرى !

وبدافع لا شعورى ، رفعت الأرملة « ويشرلى » يديها ـ التى تهدل الجلد حولهما ـ أمام عينيها مرة أخرى ؛ وتمنت لو ان هذين اليدين كانتا دفينتين تحت التراب منذ زمن ؛ فهذا أرحم من استردادهما الجمال لدقائق ، ثم عودتهما الى قبح الشيخوخة !

ووجه اليهم الدكتور حديثه قائلا : « نعم أيها الأصدقاء .. لقد أصبحتم مسنين مرة أخرى .. ولقد سكبتم ـ للأسف الشديد ـ كل ما تبقى من ماء الشباب فى عشكم الأرض !.. **وأنا شخصيا غير آسف لذلك ، فانى لم أفكر لحظة واحدة ان أبلل شفتى بهذا الماء .. حتى لو كانت نشوته تستمر لعدة سنوات ، وليس للحظات معدودات !.. هذا هو الدرس الذى علمتمونى اياه بتجربتكم الوجيزة ! »**

ولكن ضيوف الطبيب الاربعة لم يتعلموا شيئا من هذا الدرس !... بل انهم وطنوا العزم على أن يحجوا الى « فلوريدا » ، لكى يجرعوا ـ كل صباح ومساء ـ من ماء ينبوع الشباب !.. وكان أشدهم حماسا لهذه الفكرة ... الارملة « ويشرلى » !

قصة من فيتنام

الجسر المعلق!

للكاتب المعاصر
توي آن هونج دان



ترجمة : ح . ا

كلهم فى العدوان على الآمنين سواء !

اذا كانت الكاتبة الانجليزية « ايثيل منين » قد استطاعت أن تنقل لنا صورة رائعة لمأساة فرار أهل القرى الفلسطينية الوادعة من ارهاب الصهيونيين ووحشيتهم ـ فى الاربعينات من هذا القرن ـ فان الكاتب الفيتنامى « توى آن هوانج دان » يرسم لنــــا ـ فى القصة التى نقدمها على الصفحات التالية ـ صورة لا تقل روعــــة واثارة للمشاعر الانسانية ، لفرار اهل القرى الفيتنامية المسالمة ، من وحشية الامريكيين ، فى الستينات من القرن ..

● **كانت** طلقات النيران قد اقتربت من جميع الجهات .. وفجأة ، اقترنت بها انفجارات عنيفة تصم الآذان ، ولا يعلم غير الله مصدرها !

ولم يجد الذين لم يكونوا قد رحلوا بعد ـ من سكان قرية (انجين) ـ وقتا للتفكير أو الجـدال .. فسرعان ما أصبح صخب فرارهم الجنونى يتردد فى جميع الطرق المفضية الى خارج القرية الصغيرة ، والرعب والكرب يثقلان صراخهم : **((لقد اصبحنا فى قلب النار ! .. لقد زحفت الينا الجبهة !))**

واندفع بعض الذين سمعوا آخر الأنباء ـ عند مدخل القرية ـ يسعون الى بيوتهم ، ليحملوا منها كل ما تصل اليه أيديهم . وبقى بعض منهم فى المؤخرة ، ليساعدوا المسنين ، ويحملوا الأطفال .. وكدست النساء فوق ظهورهن ما كانت تضمه بيوتهن الفقيرة من أمتعـــة ، بينما حمل الرجال على أكتافهم أدوات الزراعة وآلاتها .. وراح الجميع يتدافعون ـ فى عجلة ـ فرارا من القرية المهددة ، دون أن تكون لدى واحد

منهم فكرة محددة ، عن الوجهة التى يتخذها .. فكانوا ينضمون ــ بلا وعى أو ارادة ــ لأكثف الجماعات الهاربة التى تصادفهم ، دون أن يفسحوا لإنفسهم فرصة ليتساءلوا : من اى نواحى الجبهة ينبعث ضجيج المعركة ؟ .. والى اية مسافة من القرية وصل المحاربون ؟ .. كان كل هم القرويين ان ينطلقوا فى فرارهم مسرعين ، لاهثين ، حاملين ابناءهم وزادهم وأمتعتهم !

وبدا أن الطلقات كانت تنبعث من كل ناحية ، وفى وقت واحد ، تصحبها جلبة وسائل النقل ، التى كانت تتناهى الى أسماع القرويين ، فكانوا يحسون بها ــ اكثر مما يسمعونها ــ اذ كانت تزلزل الأرض تحت اقدامهم ! .. **وفى تدافعهم واضطرابهم ، كان بعضهم يسقط فوق بعض ، وكان الأزواج يفترقون عن زوجاتهم ، والامهات ينفصلن عن أولادهن .. فتتصاعد النداءات لاهثة ملهوفة .. وكلما قطعوا شوطا ، انضم اليهم فريق جديد ، يضاعف ذعرهم بما يحمل من انباء:**

ــ لقد بلغوا الجسر ! .. انهم قادمون من طريق (دان اجرين) ! .. لديهم مصفحات ! .. انهم يطلقون النار على القرية!

وتأكيدا لهذا الخبر الأخير ، مرقت فوق رؤوس النازحين ــ وهم مصطفون على ضفة النهر ــ دفعات من القنابل القاصفة ، فانبطحوا جميعا .. وأرسلت النسوة عاصفة من الصراخ والعويل :

ــ لقد احاطوا بنا ! .. لقد حوصرنا ! .. يجب أن نعبر النهر ، فهذه هى فرصتنا الوحيدة للنجاة !

● ●

● وفى حركة واحدة ، اندفع المهاجرون نحو حافة النهر ، وقد تركوا مناجلهم وأدواتهم وما كان يضايقهم حمله

من حزم .. والكهول منهم يئنون ، والأطفال يبكون .. ومن احدى النساء ، انطلقت صرخة مرتاعة ، فارتفع صوت رجل يقول : ((**اغلقن افواهكن يا نسـوة ! .. انهم اذا سـمعونا فسوف يقصفوننا بالقنابل ، فيمزقوننا اربا !**))

وازاء هذا التحذير كتم الكهول اناتهم ، وأخذت الأمهات يسكتن ابناءهن ويلصقن راحاتهن بأفواههم !

وعلى طريق الجسر ، أخذت ضوضاء المصفحات تدنو ، مختلطة بطلقات الرصاص ، تعزف موسيقى الموت .. واستمر الضجيج الرهيب فى الاقتراب .

ولكن الذين بلغوا ضفة النهر ـ اسفل طريق الجسر ـ لم يلبثوا أن هداوا ، وكأنهم أيقنوا من انهم بلغوا ـ فى النهاية ـ مأوى أمينـا .. وعادوا يلتقطون ادواتهم وأمتعتهم التى كانوا قد القوها ارضـا . وأسرع الأقوياء من الرجال الى قواربهم المستديرة ـ الشبيهة بالسلال ـ فشرعوا ينقلون الهاربين ، ويجدفون بكل ما أوتوا من قوة !

وفى لحظة وجيزة ، كانت القوارب قد غصت بالشـيوخ والنسوة اللائى حملن اطفالهن على اكتافهن .. اما الشبان ، فاندفعوا الى الماء ، يعبرون النهر سباحة . وأفرد القـارب الأخير للأمتعة التى لم يلتقطها اصحابها ..

واذ اصبحت القوارب فى عرض النهر ـ وهى تتمـايل باضطراب ينذر بالخطر ـ اخذ العابرون يرتجفون خوفا ، اذ فطنوا الى انهم اصبحوا فى مساحة مكشوفة ، مما يجعلهم هدفا سهلا للقنابل .. ولم يجرؤ أحد على الالتفات نحو القرية الصغيرة ، والشاطىء الذى وقف عنده من لم تتسـع لهم القوارب ، ينتظرون دورهم فى العبور ، وهم نهب للرعب ، خشية أن يصيبهم العدو ، قبل أن تعود اليهم القوارب ..

ولكن المجدفين راحوا يجدفون فى استبسال مستميت ، فعادت القوارب مرات .. وعندما تمت آخر رحلة عبر النهر ، وتم نقل جميع الأمتعة الى الضفة الأخرى ، استرد الهاربون هدوءهم ، وانبطحوا على الأرض ، يرسلون ابصارهم نحو القرية التى هجروها !

● ●

● كانت سماء القرية تتوارى فى سحب من دخان اسود ، تمزقه ـ من حين لآخر ، السن اللهب ! .. وأخذت اعمدة الدخان والسن اللهب تتمازج وتتلوى كالأفاعى المذعورة .. وامتدت الحرائق من أحد اطراف القرية ، حتى بلغت المبانى الرئيسية فيها ، ثم تشعبت فانتشرت فى كافة الأنحاء ، واجتاح الدخان كل شىء .. والرياح تحمل الرماد الى ضفة النهر ، ثم عبره الى الضفة الأخرى ، لتصفع به وجوه الهاربين الذين التصقوا بالأرض فى الم وذهول ، وقد سمرتهم اليها فجائية الأحداث والدمار ..

ومسح أحد الرجال وجهه الذى كساه الرماد ، ثم اخذ يصرخ ، وهو يحدق فى يده : « انظروا ! .. ثمار كل تلك السنين من الجهد والعناء ، تتلاشى فى الدخان .. اهذا مصير العمل الدائب والحرمان ؟ .. يا الهى ! »

وسمع كل امرىء هذه الحسرة ، فكأنما كانت اشارة بدء ، اذ أخذت الدموع تسيل من العيون .. وافلتت من الرجال زفرات اسى .

ولكن أحد المبرزين فى القرية ، صاح بصوت قوى : « ان المصيبة مصيبة الوطن بأسره ، فلا تعتقدوا ان منازلكم وقريتكم هى التى أحرقت فحسب ! »

وبينما هو يتكلم ، صرخ أحد الموجودين : « أنظروا ! .. هنالك رجل على الشاطىء .. ومعه ثون ! »

واتجهت الأبصار جميعا الى الضفة المقابلة .. كان هناك رجل حقا ؛ لاح خلال الدخان ، وهو يقود ثورا ، ويسير فى خط متعرج ، وكأنه كان يحاول تفادى الضربات التى كان يوجهها اليه خصم متوار عن الأنظار . وعرف القرويون الرجل .. كان « ترونج به » ، وثوره .. وراحوا ينادونه ، ويحيطون أفواههم براحاتهم ، حتى تتضخم أصواتهم وتبلغ الشاطىء الآخر للنهر . ولكن .. **أكان من الممكن أن يسمع نداءاتهم وسط ضجيج القنابل والمفرقعات والمصفحات وطقطقة الأخشاب وأعواد الغاب المشتعلة ؟**

ولوح « ترونج به » بيده ، ثم شد الحبل ليقود الثور الى منحدر يفضى الى حافة النهر .. ولكنه ما لبث أن غير اتجاهه فجأة ، ولاح أنه اراد أن يحتمى خلف جسم الحيوان .. وفجأة ، أنزل يديه والصقهما ببطنه ، بينما انتفض الثور جامحا ، وأفلت وانطلق مترنحا ، وكأنه أصيب هو الآخر .. وايقظ هذا المشهد الذعر فى القرويين من جديد ، وقد تبينوا أن الخطر يلاحقهم . وانطلقوا يجرون على غير هدى ، مندفعين نحو مزارع الأرز التى جفت لطول ما هجرها أصحابها !

● ●

● **من خلال** أحراش الغاب ، تراءت ــ أخيرا ــ منازل سمراء وحمراء .. تلك كانت طلائع منازل قرية (نكون) ، وقد بدت ــ بمتانة بنيانها ــ بمثابة ميناء أو مرفأ يلوذون به من الموت الذى كان يلاحقهم من ضفة النهر الأخرى !

واخذوا يركضون الى (نكون) بأقصى ما وسعهم من سرعة ، وقد تهدجت أنفاسهم ، وانصب عرقهم انصبابا .. وكان القادرون يأخذون بأيدى المسنين ، ويجرون وراءهم الأطفال .. ولكنهم ــ بعد أن عبروا نحو اثنتى عشرة مررعة ــ فوجئوا بجماعة أخرى من الهاربين تبرز من دغل الى يمينهم ..

وخيل اليهم أنهم ينظرون الى صورتهم فى مرآة : كان الآخرون مثلهم ، جمهرة من الناس ، مثقلين بالادوات والحزم ، يفرون مرتجفين والموت فى أعقابهم .. فمن الجانب الآخر للدغل ، كان ثمة خط من النيران ، تنطلق من ورائه القنابل كثيفة مركزة !

وصاح شخص ما : « انها عملية تطويق ، فهم على جانبى النهر ! .. كيف السبيل الى النجاة ! »

لقد أدرك الهاربون انهم وقعوا بين نارين ، بعد أن ظنوا انهم قد بلغوا ملجأ أمينا ، فى قرية منعزلة عن المعركة !

ـ كيف السبيل الى النجاة ؟ !

وجمدوا فى أماكنهم ، لا يدرون الى أين يذهبون .. واخذت حلقة النيران تضيق من حولهم فى كل لحظة .. وازداد ارتفاع قصف المدافع ، وهى تقترب من ناحية (نكون) !

وانبعثت من الفريق الآخر ـ من الفارين ـ صيحات التحذير :

ـ اتبعونا ، فنحن على دراية بكل الطرق ! .. اننا نيمم شطر (يين دا) ، لنختبىء فى الجبال !

وعادوا الى الجرى ، يحاولون اللحاق بالجماعة الثانية !

● ●

● **اخذت** حدة الشمس تخف فوق مزارع الأرز ، وهدأت حرارة الهواء .. ولم يجرؤ أحد من الترويين على التوقف ، بالرغم مما أصابهم من ارهاق . بل أن أحدا لم يعد يحفل بأنين الشيوخ . وعويل النسوة والأطفال .. واستمر الجميع فى هرولتهم خلال السهل المقفر ، المترامى .. **وزاد الطين بلة ، أن اخذت السحب المنخفضة تتكاثف . ثم تساقط المطر مصحوبا ببرد قارس ! .. ولكن ، ماذا بهم من المطر والبرد ؟ .. لم يكن القوم يفكرون الا فيما بقى من مسافة بينهم وبين الملاذ الأمين** .. واذ كان الذين قدموا من (نجين)

يجهلون موقع (يين دا) ، فقد كانوا يسـألون العـارفين ، فيجيبهم هؤلاء :

ـ لا تزال المسافة بعيدة .. هناك جسر معلق فى الفضاء ، فوق مجرى مائى .. عندما تجتازونه ، تكونون قد وصلتم الى مقاطعة (يين دا) !

وما لبث الجسر الصغير أن لاح ـ خلال ستار المطر وضباب المساء ـ وكأنه يطفو فى الهواء ، وعوارضه الرقيقة : المصنوعة من الغـاب ، تتأرجح وسط الرياح بشـدة تنذر بالخطر .. والليل يهبط مسرعا ، والسماء محجوبة بسحب سوداء كثيفة ، ينعكس عليها وهج النيران .. فكأنما السماء حلق وحشى خرافى مرعب ، ينبعث منه دخان ولهب !

واذ ازدادت معـالم الجسر وضـوحا ، ابتسم بعض الهـاربين ، وقد أخذت الطمأنينة تخالجهم .. كان قصف القنابل لا يزال مركزا ، وانفجاراتها بعد قريبـة ، ولكنهم شعروا بأنهم زايلوا نطاق الخطر .. وراح بعض المسـنين يلهجون بالدعوات ، وعيونهم معلقة بالجسر المتاخم للحدود !

● ●

● على أن الحيرة عاودت القوم ، عند ما بلغوا الجسر المعلق ! .. لم يكن مجرى الماء واسعا ، ولكنه كان بالغ العمق .. وكان التيار سريعا وقويا ، والمسافة بين أسفل الجسر وسطح الماء لا تجاوز الشبر . ولم يثر بنيان الجسر عجب أحد : كان مكونا من سيقان من الغاب طويلة ـ بعرض المجرى مربوطة من الطرفين ، ومرتكزة فوق مجموعات أخرى من الغاب ، كل وحدة تتألف من ساقين على شـكل صليب ، غرست فى المياه لتكون دعامات .. وكان ثمة سياج من الغاب المضغوط اقيم على جانبى الجسر ، ليتكىء عليه العابرون .

وفى غمرة القلق ، انبعثت نصائح الهاربين وتساؤلاتهم :
ـ الآن .. لم يبق الا ان نجتاز الجسر !
ـ نعم ، هذا امر يسير على الشباب .. ولكن ، ما شان الشيوخ والأطفال ؟ .. وكيف تنقل الأمتعة فوق الجسر ؟
وسأل أعيان قرية (نجين) زملاءهم من قرية (نكون) :
ـ أما من طريق آخر لعبور النهر ؟ .. ليس بوسعنا أن نظل هنا جميعا ، فى انتظار أن يعبر القوم النهر واحدا واحدا ، فوق هذا الجسر الضعيف !

وفجاة ، وقع انفجار رهيب وراء القوم ، على مسافة مائة متر تقريبا ، فقطع الحوار ، ونثر الوحل على رؤوس الهاربين . وتوالت الانفجارات ! .. ولعل المدافع كانت تطلق قنابلها جزافا من الشاطىء الآخر ، ولكن الهاربين ظنوا أن العدو يصوب قذائفه عليهم ، فاستبد بهم الذعر ، وعلا صراخهم ، وغاص بعضهم فى الماء يحاولون اجتياز المجرى سباحة ، وتدافع بعض آخر نحو الجسر ، فأخذ يهتز بعنف تحت ثقلهم ..

وبقيت قلة ضئيلة احتفظ افرادها برباطة جأشهم ، وراحوا يحاولون اقرار قسط من النظام ، ويرفعون أصواتهم وسط الصخب والضجيج : « اعبروا الجسر فرادى ! .. واحدا واحدا ، ولا تثقلوه ، والا غرقتم جميعا ! »
ولعل هذه التحذيرات كانت تذهب دون تأثير ، لو أن دفعة أخرى من القنابل تبعت الأولى ! .. ولكن القنابل انقطعت .. غير أن الجسر كان مبعث خطر لا يقل عن خطر المقذوفات ، اذ أخذ يهتز بشدة تحت الخطوات الملهوفة ، وكأنه وشيك الانهيار .. وما كان انهياره ـ فى المياه السريعة الجريان ـ ليثير دهشة أو عجبا ازاء التزاحم المضطرب !

● وبعد أن عبر الجسر عدد من الأفراد ، تقدمت اليه عجوز حملت على كتفها عصا طويلة من الخشب ، علقت في طرفيها سلتين . وكان الليل قد لف المكان ، فلم ير الرجل ـ الذي كان خلف العجوز ـ شيئاً من محتويات السلتين ، ومن جذب الحبل الذي علقتا به ، وقال للمرأة :

ـ ارمي هذا في النهر ! .. انك تكونين سعيدة الحظ لو استطعت العبور وحدك ، دون أن تثقلي الجسر بالسلتين !

وتشبثت المرأة بالسلتين في اصرار ، وقد رابها قول الرجل الذي لم تكن تعرفه .. وكأنما أثاره اصرارها ، فهز السلتين بخشونة ، واذا بصراخ طفل ينبعث من احداهما .. فصاح : « ماذا تحملين فيهما ؟ »

ورأى المحيطون بهما طفلا ـ في حوالي الثالثة أو الرابعة من عمره ـ منكمشا في احدى السلتين .. بينما استغرق في النوم ـ في السلة الثانية ـ وليد صغير !

ـ يا لله !.. كيف تريدين عبور الجسر بهذين الولدين ؟

وأجابته السيدة في جفاء : « سأفعل .. لقد عبرت ـ من قبل ـ جسورا أسوأ حالا ، بأحمال أثقل ! »

وأخذ القوم يرقبون المرأة ـ بانفعال بالغ ـ وهي تتقدم ببطء فوق أعواد الغاب، تحت ستار المطر الدقيق ، الذي تخلله ضوء القمر الشاحب .. كانت محاولتها ضربا من المجازفة ! .. وقال بعض الحاضرين لأنفسهم ، وهم يقدرون الاحتمالات ، ان نجاحها في بلوغ الشاطىء الآخر بسلام ـ اذا

البقية في صفحة ١٥٠

قصة من الكونغو

خطة محكمة ولكن ..!

للكاتب البلچيكى : "ڤير دات"



خطة محكمة ، ولكن ... ؟!

كان قويا ، متين البنية ، بالرغم من انه لم يكن صغير السن .. ولقد عاش ، وناضل ، واحتمل كثيرا من الحرمان ، فى العمل فى مناجم افريقيا .. وعند ما آن له ان ينعم بثمار جهوده ـ الطيبة منها والشريرة على السواء ـ ظهر شاب يهدد امنه ومستقبله ، ويسعى لحرمانه ـ فى الوقت ذاته ـ من زوجته الشابة الحسناء . فماذا يفعل ... ؟

هذا ما تكشفه لك القصة التى يقدمها « كتابى » على الصفحات التالية .. قصة تصور ابدع تصوير خفايا النفس البشرية ، كما تصور ـ اوضح تصوير ـ ما كان يفعله الاجانب فى القارة التى كانوا يسمونها : القارة المظلمة !

● لم يكن ثمة غير شعاع واحد من الضوء ، ينبعث من احدى النوافذ ، فى كتلة الظلام التى لفت مكاتب « شركة معادن كيماش المساهمة » .. وكان صرير الحصى ـ المنتشر فى الممر ـ تحت وقع أقدام « آنسون » ، يعكر صفو اللحن الذى كان يصدر عن « الجوقة » الليلية للصراصير البرية !

كانت الساعة تناهز الثامنة مساء .. ولم يثر دهشة آنسون » ما بدا له من نشاط « سامى » أمين المخزن ـ وهو شاب خلاسى يختلط فى عروقه الدماء البيضاء والزنجية اذ يبدو أن شعوره بالقدر الضئيل من الدماء البيضاء ـ التى كانت تجرى فى عروقه ـ غرس فى ذهنه الرغبة فى أن يكون ممتازا ومتميزا عن سائر المستخدمين الملونين ، الذين كانت بلادتهم الواضحة تسود مكاتب « شركة معادن كيماش المساهمة » .

وتذكر ((آنسـون)) ـ كمـا يفعـل الكثيرون حين يسترجعون ذكريات شبابهم من قبيل اللهو والتسلية ـ أنه ظل فترة طويلة يعتقد أنه والد ((سامى)) ! .. أما الآن ، فقد كف عن هذا الاعتقـاد ، كلا .. لم يكن هو والده ! .. لقد كانت معرفته بالنسـاء الوطنيات ، كافية لأن تصرفه عن هذا الوهم !

● ●

● ودفع « آنسون » الباب الزجاجى ــ الذى كان يعكس على الممر ضوءا خافتا ــ فنهض « سامى » واقفا .. كان على الدوام يبـدو موزعا بين الولاء المفرط ، وبين صلف الزنوج .. وكان « آنسون » يتساءل أحيانا عما اذا كان هذا الصلف ــ الذى لا يكاد يبدو ــ كان يستمد جذوره من ذلك الاعتقاد بأبوته الموهومة .. ثم تمتم لنفســـه : « ليكن ! .. اذا كان هذا الاعتقاد يسره ، فليتشبث به ، ولكن .. على أن يحتفظ لنفسه ! »

وبانحناءة تذلل أخيرة ، أعاد « سامى » اغـلاق البـاب خلفه .. ودلف « آنســون » الى مكتبه ، دون أن يوقــد المصباح .. كان ضوء القمر يضفى من النور ما يكفى لانجاز ما كان يعتزم أن يفعل .. وكان التعب قد أضناه ، فجلس متثاقلا فى المقعد الوثير ، بعيدا عن بساط النور الفيروزى الذى كان القمر ينشره تحت النافذة الوحيـدة .. وأغمض عينيه ، غافلا عن سحر الليل الأفريقى .. **رحماك يا رب ! لكم هو مرهق ! .. ثلاثون عاما فى أفريقيا ، لا تتخللها الا بضعة شهور ـ التقطها من وقت لآخر ـ لقضاء اجازة سريعة فى أوروبا .. ولا يزال هناك احتمال قضـاء عشرة أعوام أخرى ، فى هذه الاصقاع !**

وتضاحك فى مرارة ، وهو يقول لنفسه : « انك لتوهم نفسك يا « آنسون » .. لم يعد ثمة عشرة أعوام .. لم يعد ثمة عام واحد ، ولا حتى ستة أشهر ! .. ((أنهم)) سيطيحون بك قبل ذلك .. سيشمون رائحة السر قبل ذلك ! .. ((انه)) سيشم رائحة السر ، بأنفه الصغير القذر ، انف الدخيل ، الوصولى .. « ابن الذوات » ! .. **ثم ماذا ؟ .. بتقرير سريع ، بل بغير تقرير .. تكفى بضع كلمات ، وبضع أرقام ، فى خطابه القادم الى ((پاپا)) ! .. وبعد ذلك ، ينفسح الطريق امامه ليحتل مقعدك الوثير !))**

وراح « آنسون » يستعرض حياته الوظيفية ..

سنوات التنقيب عن المعادن .. والتقدم البطىء المنهك داخل الأدغال .. لحظات الأمل العابرة .. الاكتشافات التافهة بعد شهور ، بل بعد سنوات من العمل المضنى بلا جدوى ... والملاريا .. واليأس !

● ●

● **كان** « آنسون » قد جاء الى (الكونغو) بعد وفاة امه ، ليلحق بأبيه الذى كان يعمل فى التنقيب عن المعادن فى افريقيا . ثم توفى الأب ، فواصل هو التنقيب لحسابه الخاص ، ولكن سنوات الأزمة الطاحنة هى التى قضت على استقلاله .. وقد شعر بسعادة عظيمة ، حين وجد عملا فى « شركة معادن كيماش » ، التى انشأها ــ فى ذلك الوقت ــ بعض المتفائلين من رجال المال .. وكان هو (آنسون) الذى حقق للشركة ما بلغته من نجاح ، فهل يكون هذا هو جزاؤه ؟ .. كانوا قد عينوه مديرا بطبيعة الحال ، ولم يكن مرتبه ضئيلا ، ولكنه مع ذلك لم يكن يوازى ما يستحق ..

« ان سياسة الشركة تستهدف الاقتصاد ، يا سيد

آنسون » ! .. هكذا اعتاد أن يقول والد هذا الفتى « اورين سميث » .. هذا الأبله الذى ...

لم يكن من المستغرب – بعد هذا – ان يحاول « آنسون » ان يقتطع لنفسه جزءا من كل هذا الذهب الذى كان يملأ به أيدى أعضاء مجلس الادارة .. ولم يكن هذا بالأمر العسير ، فقد كانوا جميعا يولونه ثقتهم ، ولا يفتأون يقولون عنه : « السيد آنسون النزيه ! » .. ثم ان هذه البقعة – التى كان مقرا لعمله – كانت تخلو من كل ما يمكن ان يجتذب مفتشى الحسابات ومن على شاكلتهم من الخبراء !

كان بوسعه – منذ الآن – أن يستغنى عن تلك المكافاة الضئيلة التى كان يمنحها « اورين سميث » – فى شح وتقتير – لمن يسمونهم بالمندوبين السامين للشركة .. وقد كان هو الذى يقوم – فى نهاية كل اربعة أشهر – بالاشراف على نقل شحنة الذهب المستخرج ، الى محطة السكة الحديدية التى تؤدى الى ميناء (سيموس) .. وكان يحرص على أن ينتخب للحراسة اشهر المشاغبين من الجنود الوطنيين .. وكان فى كل شحنة ، ودائما ، صندوق كتبت عليه كلمة « آلات » ، يرسل الى عنوان معين فى (سيموس) ، حيث يودع بصفة أمانة . **ولما كان « آنسون » يتولى بنفسه تحرير الوثائق ، فقد كان يستطيع – بغير ما مشقة – ان يجعل كل شىء يبدو صحيحا .. فلم يكن يعوزه الا عملية تزييف بسيطة فى احصائيات الانتاج وفى أرقام الحسابات ، ليكون فى مامن من كل خطر .. بشرط الا يعقب ذلك عملية مراجعة جادة !**

ولكن .. ها هم أولاء يرسلون اليه « أورين سميث – الابن » ، ليقوم بالاطلاع على سير العمل فى المشروعات التى كان مقررا أن يتولى ادارتها فيما بعد .. ومما زاد الطين بلة ، ان هذا الابن كان يقوم بعمله بطريقة جادة !

● **انطلقت** من بين شفتى « آنسون » بضع شتائم بصوت خافت .. لقد نجح حتى اليوم فى اقصاء « أورين سميث » عن الجانب الادارى من العمل ، ولكن .. كان لابد لذلك من نهاية .. « وهم » قد ألمحوا له صباح اليوم — فى ادب ، ولكن فى حزم — بأن السيد « أورين سميث — الابن » يهتم فعلا بالجانب الفنى للعمل ، ولكن استعداداته وميوله الشخصية تجعله أكثر اتجاها الى الاهتمام بالجانب الادارى .. ومن ثم فانه اعتزم — فور انتهاء العطلة الأسبوعية — القيام بفحص دقيق للحسابات والأعمال الادارية بصفة عامة .

كان « آنسون » يعلم ان هذا لابد أن يحدث فى يوم من الأيام .. ولكنه لم يكن يتوقع أن يحدث ، قبل أن يقرر هو ذلك .. **لم يكن يتوقع أن يحدث ، قبل أن يتمكن من أن يجعل بضعة آلاف من الكيلومترات تفصل بينه وبين العدالة فى المستعمرة .. وبعد ان يتم ذلك ، وبعد أن يجمع أمواله وينقلها ، سيقولها عالية : « الوداع ! » ..**

ولقد كانت قوانين تسليم المجرمين غير معروفة كثيرا فى امريكا اللاتينية ، فيما يقال .. فضلا عن انه بوسع أى امرىء أن يستبدل باسمه اسما جديدا ، ما دام فى يديه مال

وها هى ذى الخطة الرائعة تبوء بالفشل ..

لقد أخذوه على غرة ، قبل الأوان .. قبل الأوان بكثير .. وحتى لو حاول أن يهرب الآن ، فلن يجد تحت يده من المال ما يكفى لأن يتيح له النجاة بنفسه .. واخذ يلعن الحيطة الحمقاء التى دفعته الى أن يضع كل أمواله فى الخارج .. وربما كان فى وسعه أن يتصرف ، لو أنه كان بمفرده ، ولكن .. كانت هنالك « واندا » !

كان قد تذكر فجاة — اجازته الأخيرة — انه بلغ الخامسة

والاربعين من العمــر ، ففكر في الزواج ، حين رآها .. حين راى « واندا » ! .. وكانت خبرته بالنساء ــ ولا ســيما الاوربيات منهن ــ ضئيلة ، فبدت له الفتاة أنسب انثى له .. صحيح ان عمرها كان ــ عندئذ ــ يقل عن عمره عشرين عاما ، ولكن لا حرج .. فقــد كان قوى البنية بالنســبة لسنه ، وما كان يمكن لأحــد ان يقدر عمره بأكثر من اربعين عاما .. ولقد غازلها ، ثم تزوجها قبل عودته الى أفريقيا بخمسة عشر يوما .. وسرعان ما توالت الايام والشهور ، فاذا ثلاثة أعوام تنقضي منذ ذلك الحين !

وما كان يدرى ــ حين تزوج « واندا » ــ ان كان يحبها حقيقة . ولكنه أصبح لا يتصور الحياة بدونها ! .. وأصابته غصة في حلقه .. انه لا يستطيع ابدا ان يفقدها ، مهما يكن الثمن ! .. لا ، لا ينبغي ان يفقدها ابدا !

● ●

● وخالجه شعور جديد ، لم يكن قد اتضح له في هذه اللحظة .. انها لم يتح لها أن تعاشر طوال هذه السنوات الثلاث الا موظفي « شركة معــادن كيماش » ، وقلما كان يحدث أن تلتقي بهم ، وكان أغلبهم ــ على أي حال ــ قرويين لم يكادوا يتعدون مرحلة الطفولة ، أو شيوخا محطمين ! .. لذلك فان وصول هذا الشاب ايقظ في نفسه ــ لأول مرة ــ الشعور بالغيرة .. ولقد حاول « اورين سميث » ــ منــذ اول وهلة ــ ان يغازل « واندا » . وكانت هي ــ في بادىء الامر ــ تصده ، ولكنها لم تلبث بعد ذلك ان تخاذلت ، وان كانت لم ترفع الكلفة بينها وبينه !

ولم ترق لاتسون هذه اللعبة كثيرا ، بل انهــا اثارت حفيظته ضد ذلك الدخيل ..

بعد هذا كله ، وعند النقطة التي وصل اليها ، ما الذي

يدعوه الى ان يتراجع ؟ .. لابد له من ان يمضي فى تنفيـذ خطته ، وأن يفعل ذلك بمهارة ، وأن يتجنب ــ وبأى ثمن ــ اثارة شك « سميث » .. ان أمامه الليل بطوله ليعد ضربته ، كما ان امامه نهار الأحد كذلك ! .. لابد أن يضع كل شيء فى موضعه الصحيح ، حتى لا يرتكب أية حماقة .. فان أقل خطأ قد يودى الى الهلاك !

ومهما يكن ، فان أسوأ ما يمكن ان يحدث ــ بعد احتراق السجلات .. فى غير تعمد ظاهر ــ هو أن توجه اليه تهمة الاهمال ، وأن يحال الى المعاش قبل الأوان ! .. فهو لن يترك اى دليل يشي به .. اما الشـكوك .. يا الهى ، انهـا لا يمكن ان تحوم أبدا حوله !

● ●

● وما أن اتخذ قراره ، حتى بدأ يفكر فى خطته بطريقة جادة .. لا داعى للعجلة ، فهو لن يفعل شيئا هذا المسـاء ، ومن ثم فأمامه فترة ما بعد ظهيرة اليوم التال كلها .

لا ، ليس هذا المسـاء .. عليه أن يتجنب اثارة الشك فى نفس « أورين سميث » ، بقيامه بنشاط غير عادى .

ان مباراة فى ((الجولف)) مع العدو ــ قبل المعركة ــ لشيء رائع ! .. شيء مريح للأعصاب ! .. ولقد اعاد هذا الى ذهنه أول خطة وضعها لانقاذ موقفه . كانت خطة خطيرة جدا .. فضلا عن انها تتضمن .. حياة بشرية !

ذلك أن رؤوس الجبـال ــ التى تطـل على ودبان (كاربوبو) الضيقة ــ تعـلو الشـلال بعشرين مترا ، ومن بينها رأس صخرى ، يبدو كأنما أعد خصيصا ليكون مربضا للاستطلاع .. وهناك ، يمكنه التظاهر بالاعيـاء ، أو التعب المفاجىء ، فيتهالك قائلا : « فى مثل سنى يا سيد سميث ، وبعد ثلاثين عاما فى أفريقيا ، هل لى أن اسألك بضع دقائق

للراحة أمام هذا المنظر الرائع ؟ .. شكرا ، شكرا جزيلا .. هل تسمح لى ؟ »

وتمر لحظة .. وقد يظلان يلهثان قليلا .. ولا يلبث أن يقول : « هل لك فى شراب مرطب لا ضرر منه ؟ .. زجاجة كوكاكولا ؟ .. عظيم ! .. يا غلام ، اذهب واحضر لنا من النادى زجاجتين من الكوكاكولا ! »

والآن ، رحل الشاهد الوحيد لبضع دقائق ، فالنادى على مسافة تتجاوز خمسمائة متر ، خلف نتوء فى الجبل .. ثم ، دفعة بسيطة .. يا للسماء ! يا للشباب المسكين ! .. لا امل فى النجاة ، فان الهوة سحيقة ، يصل عمقها الى عشرين مترا ، وفى أسفلها الصخور ، والماء — والشاب لا يجيد السباحة .. يا للمسكين ! يا للشاب المسكين .. كم كان لطيفاً !

ولكن ، كلا ، يا للشيطان ! .. هذه مجازفة تنطوى على أخطار اكثر مما يجب ! .. ان الخطة محكمة بالتأكيد ، وتخلو من اية ثغرة ، ولكن .. ما الذى يجرى بعد ذلك ؟ .. سيأتى « أورين سميث — الأب » مسرعا .. وبعد لحظات من الراحة يقضيها فى ابداء الألم الأبوى الشريف اللائق ، لا يلبث أن يقول : « يا سيد آنسون .. ان العمل هو انجح دواء للهم .. هو وحده السبيل الى النسيان ! .. فلننظر كيف سارت أعمالنا هذا العام ؟ .. **اننى افضل أن احبس نفسى معك بضعة أيام ، حتى أكون لنفسى فكرة عن نتائج السنة المالية الجارية .. هيا ، هات لى دفاترك لو سمحت ! .. لا تنسى دفاتر السنوات الماضية ، حتى تتسنى لى وسيلة للمقارنة ! »**

يا للعجوز الخبيث الرهيب !

وارتعد آنسون .. كلا .. لن يكون القتل مهربا ! ..

يكفي حريق بسيط .. نار نشعلها علامة على الفرح ، كما يفعل فتيان الكشافة .. لا ضير في هذا ، وسيكون البرد القارس تفسيرا كافيا للمدفأة التى تركها « السيد آنسون الطيب » موقدة ، عندما غادر الشركة .. كان المسكين مرهقا ، فقد قضى ساعات الليل ساهرا فى جمع كل الوثائق التى طلبها السيد « أورين سميث » .. وهذا القط الغبى ، الذى اجتذبه الدفء ، ولا توجد غير اشلائه المحترقة ، هو بلا شك الذى قلب المدفأة فوق البساط ! .. وستكون التعليقات مترفقة رحيمة : « حقا ان ذلك لمن سوء الحظ ، ولكن لا توجد خسائر فى الأرواح ، هذا هو المهم ! .. ونتعشم الا يوجه الى « آنسون » المسكين أى لوم جارح ، فهو سيبلغ سن الاحالة الى المعاش قريبا .. وبالمناسبة ، من الذى سيخلفه فى ظنكم ؟ »

● ●

● تنحنح « آنسون » تعبيرا عن الرضى .. ولكن ، كلا بالتأكيد .. ليس هذا المساء ، فهو مرهق جدا .. بيد أن سهرة الغد كفيلة على أية حال ـ بأن تتيح له وقتا كافيا لتدبير الأمر .. ثم أن المستخدمين من أبناء البلاد يكونون ـ مساء الأحد ـ منهكين ، اثر احتسائهم الخمر طوال يومين متوالين ، وهذا مما يمنع مغفلا مثل « سامى » من أن يأتى الى مكاتب الشركة ، فينتبه الى الخطر وينذر به قبل الأوان !

وتطلع الى الساعة المضيئة ، التى كانت تحيط معصمه : لم تكن قد تعدت التاسعة والنصف .. وبدا له الوقت طويلا جدا .. بقيت أربع وعشرين ساعة !

واستوثق ـ قبل انصرافه ـ من أن المدفأة الكهربائية كانت تؤدى عملها بشكل طبيعى .. ان كل شىء سيسير على ما يرام .. كان متأكدا من ذلك !

وفى الخارج ، لذعته برودة الليل ، فأسرع الخطى .. ستندهش « واندا » اذ تراه يعود مبكرا هكذا ، اذ كان قد اخبرها بألا تنتظره ، لأنه لن يعود قبل منتصف الليل ..

واقترب من البيت ، فادهشه ان رأى الظلام والسكون يسودان كل شيء .. وتسلل عبر الممر المفضى الى المدخل الرئيسى ، فاصطدم بسيارة كان نصفها يختفى بين دغلين ، فلا سبيل الى رؤيتها من الخارج .. كانت سيارة « اورين سميث » .. ماذا فى الأمر بحق الشيطان ؟ !

ومكث فترة طويلة جامدا ، لا يتحرك ، وقد بدا له أن عقله قد تعطل تماما ، فعجز عن التفكير .. حتى اخرجته من غيبوبته حركة خفيفة ، صدرت عن الباب وهو ينفرج قليـلا ، فتراجع متسللا الى جوف مجموعة من شجيرات الزهور .. وفى **ضوء القمـر ، رأى « واندا » و « أورين سميث » يخرجان من المنزل صامتين ، ويتجهان صـوب السيارة ..** وغابا عن ناظره لحظة ، ثم لم يلبث صوتهما أن تناهى اليه فجأة ، فى وضوح تام :

ـ انصرف الآن .. انني خائفة .. لو رجع « وليم » ..!

ـ لا خطر على الاطلاق ، هيا بنا ! .. الم يخبرك بأنه لن يعود قبل منتصف الليل ؟

ـ لا يا حبيبي ، انصرف ! .. فى مساء الغد ، نستطيع ان نفعل ما يروق لنا ، دون ما خطر .. اذهب ! ارجوك ! .. لم يعد علينا أن ننتظر لأكثر من اربع وعشرين ساعة ، ثم يلتئم شملنا الى الأبد ! .. لا ينبغى أن نخـاطر .. سيكون الامر رهيبا ، لو خالجه اى شك !

وهنا ساد صمت طويل .. لابد أنهما كانا يتعانقان .. وقاوم « آنسون » رغبة مفاجئة فى أن يندفع نحوهما .. ومرة أخرى ، سمع صوت زوجته وهى تقول « اذهب الآن

يا حبيبى ! » .. ثم سمع محرك السيارة يدور ، وسرعان ما انطلقت السيارة بعيدا ، حتى لم يعد يبدو منها سوى بصيص من النور الأحمر فى حلكة الظلام ..

● ● ●

الله وحده يعلم كم من الوقت مكث « آنسون » فى ذلك المكان ، منكمش فى جوف الدغل .

وراح يحدث نفسه ، وهو مذهول :

« واندا حبيبتى ؟ ! .. غير معقول ، لابد اننى أحلم !.. لابد أننى أحلم ، ولن ألبث أن استيقظ !.. انت مرهق آنسون .. انها الملاريا ، انه كابوس الحمى .. اننى أكرهك يا « واندا » ! .. أكرهك ؟ ! .. كلا ، لا استطيع .. بل أكرهه هو : هو .. الوغد الصغير القذر .. **ماذا كانت تعنى بقولها بعد أربع وعشرين ساعة ؟ لم يعد أمامنا ان ننتظر اكثر من أربع وعشرين ساعة ؟ .. أتراها سترحل معه ؟ تهجرنى من اجل هذا الولد ؟ هذا الوغد الطائش ؟ أولى بها ان تقتل .. ولكن كلا ، بل هو الذى يقتل ! »**

وارتدت الى ذهن « آنسون » الخطة التى كان قد دبرها .. خطة بسيطة ، هى النموذج الرائع للجريمة الكاملة ؟ .. جريمة بدون دافع ، وبدون فاعل ، وبدون شاهد ! .. دفعة بسيطة ، بحركة ودية تقريبا .. بالابهام لا أكثر ! .. وهمس لنفسه : « وبعد ذلك ، لا أهمية للمخاطر ؟ .. فلأفقد كل شىء ، ولا افقد واندا ! »

وفجأة ارتعدت فرائصه .. كان البرد قد أصابه دون أن يدرى .. وكان النور الذى اضىء فى احدى الحجرات قد أطفىء ، وسيطر النعاس على مظهر المنزل .. وتسلل « آنسون » كاللص خلال باب « الجراج » ، كى يتجنب السير فوق الحصى .. لم يكن يريد أن يرى « واندا » هذا المساء ، فهو لن يستطيع أن يتحملها ! ..

● واستيقظ عند الفجر ، بعد أن قضى ليلته مستلقيا على احد المقاعد ، وكابوس مروع يقلق نومه .. وكانت الساعة السادسة صباحا . وبكل ما استطاع من هدوء ، تسلل الى الحمام .. وجرح نفسه مرتين وهو يحلق ذقنه ، ولكنه كظم حنقه .. **« اياك يا آنسون واضطراب الأعصاب ! .. انك ستحتاج الى كل ما لديك من رباطة جاش ! »** ..

وافاده حمام فاتر ، واكمل انتعاشه قدح من القهوة .. وكانت معدته خاوية ، ولكنه لم يستطع أن يأكل شيئا ، وانما مزج قهوته بكأس كبيرة من « الروم » ، مما أشاع فيه حيوية ودفءا .. وشعر بأنه أصبح مستعدا للعمل !

وبينما هو يهم بالخروج ، سمع صوت سيارة تتوقف امام المنزل ، فتوقف قلبه عن النبض لحظة ، وشعر بتقلص يعتصر معدته .. يا الهى ! لو أن دخيلا ثقيلا ..

ولكنه احس بروحه ترتد اليه ، حين سمع صوت « أورين سميث » يناديه .. لقد كانت السماء تساعده بالتأكيد ، فها هو ذا الغبى قد جاء الى الفخ بقدميه !

ـ هاللو يا سيد آنسون ! .. لقد فكرت فى أن مباراة صباحية فى الجولف ..

ـ ان الطقس بديع ، كعهده دائما فى هذا الفصل من العام .. نعم ، بكل سرور .. طبعا ، بكل سرور !

وتظاهر بالحرج وهو يحضر قبعته وصديريته الصوفية ، ويتمتم معتذرا : « سيكون من العسير أن نعثر ـ فى هذه الساعة ـ على صبى لجمع الكرات .. سأستدعى ابن خادمى .. ولنضع مضاربنا فى حقيبة واحدة ! »

ووافق « أورين سميث » ، وهو شارد الفكر ..

كان كل شيء يبدو على ما يرام .. وكانت حلقات اللعب خالية من الرواد .. ولم تستطع الدقائق الأولى من التمرين

أن تكسب « آنسون » لياقته البدنية ، فكان يخطىء المرة بعد الأخرى ، حتى اضطر أن يتخلى عن الحفرات الثلاث الأولى فى الملعب لمنافسه الشاب ، وهو يعتذر قائلا : « أشعر بأننى لست فى كامل لياقتى هذا الصباح .. »

وكانا يتجهان معا ناحية الحفرة الرابعة ، عند قمة الجبل التى فوق الشلال .. فاجاب أورين سميث : ((وأنا نفسى لست على ما يرام .. لسوف ندفأ وننشط أثناء اللعب !)) .. وقذف الكرة فانطلقت فى مسارها الصحيح وسقطت على بعد بضعة أمتار من قمة الجبل ، التى كانت تشد أنتباه ((آنسون)) ..

ولم يلبث « آنسون » ــ حين قذف بالكرة بدوره ــ أن فشل فى تسديد ضربته ، فلم تبتعد الكرة سوى بضعة أمتار .. أما ضربته الثانية ، فقد أجاد تصويبها بحساب دقيق ، ومن ثم استقرت كرته بالقرب من كرة خصمه .. واتجها معا ناحية حافة القمة المطلة على البحر ، وقد أصبح الأمر الآن سهلا للغاية .. لعبة أطفال ! وحين وصلا الى كرتيهما ، استجمع « آنسون » كل طاقته ، **فقد حانت اللحظة الحاسمة** .. وسبقه « أورين سميث » قائلا :

ــ ما رايك فى أن تتناول هنا شرابا مرطبا ، قبل استئناف اللعب ؟ .. هذا من شأنه أن يريح أعصابنا ، وربما تحسن مستوى لعبنا بعد ذلك !

ــ كنت على وشك أن أقترح عليك هذا .. ماذا تحب أن تشرب ؟ كوكاكولا ؟ .. يا غلام ، اذهب واحضر لنا من النادى زجاجتين من الكوكاكولا !

واختفى الولد بين الأشجار ..

ــ آه يا سيد سميث ، ما أروع هذه المناظر .. انها تنسيك وطأة ثلاثين عاما فى افريقيا .. فى التراب ، فى الوحل

والملاريا .. أنظر الى الطبيعة ، وهذه الصخور ، وبخار المياه الناصع البياض ، الذى يتصاعد فيختلط بالسحب ، وسط زرقة السماء !

كانت اللحظة الحاسمة قد أوشكت .. فهاهما قد اصبحا وحيدين ، فوق صخرة معلقة بين السماء والأرض .. وشعر « آنسون » بانه ثمل من فرط القوة .. ان حياة انسان بين يديه الآن ..

« اله .. انا اله ! »

ثم .. الفضاء .. الماء .. الصخور .. وقد تقدم للقائها فى حركة رعب ، ويداه مبسوطتان فى حركة دفاع عديمة الجدوى !

.. ..

● وكانت « واندا » تنتظر فى لهفة وقلق ..

ولم تنبس بكلمة واحدة ، حين رأته يعود وحده !

ــ انتهى الأمر يا حبيبتى .. كأنما كان يسعى الى تيسير مهمتى ، فقد تقدم من تلقاء نفسه الى الحافة .. وكان يحدثنى عن الطبيعة ، والسماء الزرقاء ، و .. بدفعة خفيفة ، انتهى كل شىء !

وكان « أورين سميث » يبدو منتشيا ، حالما ، وهو يتكلم ..

ــ كان الأمر غاية فى السهولة .. ترى هل ... ؟

ولم تدعه يتم سؤاله ، اذ أدركت ما طاف بخاطره ..

ــ هيا يا حبيبى ! .. كيف كان له أن يشك فى الأمر ؟

وهز « أورين سميث » كتفيه ، وقال وهو شارد البال :

ــ كان رجلا ساذجا كل السذاجة .. بيد أنه كان متين البنية !

....



ترجمة : محمود بدر الدين خليل

● كان لاصطفاق الباب فعل رنين الساعة المنبهة على عقله ، فأيقظه من جموده وسكونه . فمن أغرب الأمور ، أن المرء يستطيع التعرف على صوت اصطفاق بابه كتعرفه على صوت انطلاق محرك سيارته !

ولم يكن بحاجة الى أن يلتفت ، اذ أدرك أن « رودا » هى التى صفقت الباب . ولو أنه توقف وأصغى ، لالتقطت أذناه دقات كعبى حذاءيها ، وهى تسرع الى الناصية ، حيث كانت فى انتظارها سيارة أجرة .. **كان موقنا من أن السيارة هناك فعلا ، وذلك الشاب « ويد » يفتح بابها وهو يرتجف لفرط التوجس والانفعال ..**

لا بد أن « ويد » سيبادرها قائلا : « ما كان أقسى الانتظار يا حبيبتى !.. لقد خشيت الا تأتى . هل صادفت مشقة فى الحضور الليلة ؟.. هل تظنين أن الشك راوده ؟ »

ولا بد أن ضحكة « رودا » الخافتة ، المخملية ، ستنبعث وهى تقول : « يا له من شخص وديع !.. ما من مشقة البتة ، فهو فى طريقه الى النادى البغيض كعادته .. ونحن منطلقان فى الاتجاه المضاد ، نحو الأضواء المتألقة والموسيقى ..! »

● ●

● وقال فى نفسه : « هذه نتيجة الغباء الأحمق ، يا ستيفن هارتلاند .. هذا ما يتأتى عن زواج شيخ مخرف بفتاة كالنحلة تحوم سعيا وراء الرحيق الشهى !.. فى طريقه الى النادى ؟ !.. كأنها كانت تقول : فى طريقه الى القبر ! »

ولكن ، هل كان هذا مقصده الليلة حقا ؟.. لقد كان ثمة أمر علق بذاكرة « هارتلاند » فى تلك الأمسية ، وان لم تتضح له معالمه .. كل ما كان يتذكره هو أن عليه أن يذهب لمقابلة « مانيستى » بصدد ذلك الأمر . وأخذ يفكر :

« اننى لا اصيب حظا كافيا من النوم ، وان كان يبدو أن مخى يخلد للنعاس من وقت لآخر ، فلست ادرك ما افضل .. يا لها من صدمة ، ان اتبين ان جسمى يسير دون ارشاد من مخى ! اننى أفطن الى نفسى ــ احيانا ــ فاذا بى فى منتصف سلم أرقى درجاته .. ووجدتنى ــ فى مرة او اثنتين ــ استخدم التليفون ، دون أدنى فكرة عما أقول .. انها أمور تحدث ، ولكنها لا تستغرق أكثر من ثوان .. ولا يبقى منها شىء فى ذاكرتى اطلاقا .. فكأنها حالة اظلام تام ! »

وكان بوسعه أن يتمثل صورة « مانيستى » ، برأسه المائل قليلا الى أحد جانبيه ــ كأنه عصفور يفكر فى أمر لا يفهمه ــ وصوت جهورى بدرجة تدعو للدهشة ، اذا قيس بحجم الجسم الذى يصدر عنه .. لا ريب فى أن مانيستى سيقول : « انك ترهق نفسك بالعمل فوق ما ينبغى .. متى حظيت بآخر عطلة للاستجمام ؟ .. اممم ، هذا ما خطر لى . سأعطيك دواء يكفل لك نوما أحسن .. انه أقراص .. ودواء مقويا ، لا ضرر منه . ولكن ما بك من الحالات التى تستطيع علاجها بنفسك .. راحة من العمل ، واستجمام واسترخاء كاملين ، واقصاء لكل الهموم عن العقل .. »

وهذه مسألة سهلة كل السهولة يا « ستيفن هارتلاند » ! .. ليس عليك سوى أن تنسى ، فحسب !

● ●

● **ولكن** هناك أمورا لا سبيل الى تناسيها .. أمور تثقل عقلك ، بل هى فى جوف عقلك .. بل هى فى قاعه ، تزحف منه الى أحلامك . لقد جاءت « رودا » مرة ، وقالت ان الأمر كله خطأ جسيم ، فهى لا تحب « توم ويد » .. **كان هنا فى المنام !** .. ولقد جاء « توم ويد » يوما الى البيت ،

خلال ضـباب كثيف ، واذا بحافلة تنحرف عن الطـريق ، وتضغطه الى باب البيت بشدة ألصقته به ، وقد انبسطت ذراعاه الى جانبيه ، فكأنه « خيال المآتة » الذى يقيمونه فى الحقول لارهاب الطيور .. او كأنه كان يحاول أن يمسك بالحياة اذ فارقت جسده .. **وكان هذا حلما آخر !**

ونبضت الذاكرة خلال أفكار « هارتلاند » ، لتبلغـــه رسالة !

أجل ، هو ذلك حقا !.. الجسر !.. كان ذاهبا ليقابل رجلين عند الجسر . هذا هو الاتفاق الذى ارتبطوا به ليلة أمس . هكذا بدا لهم الأمر ليـلة أمس ، ولكنه لم يعـد الآن موقنا من صواب اللقاء .. ومن المحتمل انهما شعرا بمثل تردده هـذا . لكم يكون من الطـريف أن يظـل الجسر فى انتظارهم ، دون أن يظهر عنده واحد منهم !

ولكنك وعدت يا ((ستيفن هارتلاند)) !.. وعدت ، ووعد الحر دين عليه !

ولكن هذا الوعد صدر فى ليلة أمس ، التى كانت حافله بالمشاعر الجياشة .. وكانت الظروف غير عادية .. ثلاثة أفراد كانوا يعتزمون الانتحار ، فأنقـذ كل منهم الآخر من الموت !

لعله يشكر لهذا الانقاذ حدوثه يوما ما .. بل أن الرغبة فى القضاء على نفسه قد زالت فعلا .. وقد أصبح الآن قادرا على تدبير الأمور وتحليلها .. **لقد حومت ((رودا)) بعيـدا عنه ، ولعل فى وسعه أن يستبقيها فى اساره بعض الوقت . ولكن لا خير فى ذلك ، فهى قد أصبحت غريبة فى بيته ، وأحكم ما يفعله هو أن يفتح لها الباب ، ويدعها تنطلق .. أن يسمع طرقات كعبيها على درجات السلم لآخر مرة !**

أما الحل الآخر فكان أكثر صـعوبة .. كان عليـه أن

يحبس نفسه في حجرة ، وينصرف — في هدوء — الى ملء صفحة من الورق بالأرقام ، ليتأكد من مقدار ما بقي له من مال .. كان عليه أن ينفق دون مبالاة لفترة من الوقت ، كمحاولة اخيرة لاستبقاء « رودا » . لكم انذر نفسه — مرة بعد الأخرى — وفي بطنه شعور قارس البرودة يلسع احشاءه بانه قد أوشك على الافلاس ، وان من الخير أن يقبض يده !

● ●

● وكان من الغريب أن يستعرض كل هذه الأفكار بهدوء ، دون ما انفعال ، في حين أن كل هموم الجحيم كانت تطارده في الليلة الماضية .. لقد ذهب الى الجسر — اذ ذاك — وهو مقتنع تماما بانه لم يعد ثمة حل للموقف سوى أن يضع لحياته نهاية ..

وكان ثمة شرطي في أحد الأركان ، فأوشك « ستيفن هارتلاند » أن ينكص على عقبيه مدبرا .. وفكر في نفسه : « لو أن مسلكي أثار ريب الشرطي ، فانه سيراقبني ، ولن تسنح لي الفرصة » .. **ولكنه — وقد بلغ النهر — كان كارها لارجاء المسألة . فان للبدن ارادته الخاصة ، التي لا تستند الى منطق ، وقد يشرع — في اية لحظة — في تأكيد حقه في الحياة .. وهو — صاحب البدن — قد أصبح يكره الحياة !**

وتحرك « ستيفن هارتلاند » — فوق الجسر — في تؤدة .. قد يحسن أن يدخن للمرة الأخيرة ؛ وفي وسع المرء أن يدخن غليونه ، وهو متكيء بذراعيه على السياج الحجري للجسر ، دون اثارة أية شبهات . فأفكار الناس تنطلق عادة على خطوط العرف والعادة ، والمدخن مفكر ، والمفكر لا يلقي بنفسه في النهر !.. كان عليه ان يفعل شيئا ما — على أية حال — لأنه لم يكن وحيدا فوق الجسر ، فعلى بضع ياردات منه ، كان ثمة بصيص سيجارة .. وفي الجانب المقابل — من

الجسر ـ كان ثمة شيء مقيم ، له وجود مادى لا يبرر الظن بأنه ظل أو شبح !

وتطلع ببصر نافذ ، الى حيث كان بصيص السيجارة باقيا .. يا اللعنة ! لا بد أن ذلك الشخص أشعل سيجارة جديدة !.. ماذا وراء وجوده هناك ؟ أهو فى انتظار فتاة ؟.. وأخذ ((ستيفن هارتلاند)) يزداد شعورا ببرودة الطقس ، فقد كان الجسر مكانا مكشوفا .

وغمغم لنفسه : « لا داعى لأن أسلم نفسي للبرودة قبل الأوان ! » .. وتحرك قليلا ـ فوق الجسر ـ ليستحث دورة الدم فى جسمه من ناحية ؛ وليرضى فضوله من ناحية أخرى . وتوهج التبغ فى غليونه ، فذكا بصيص السيجارة ردا عليه . واضطره دافع خفى الى أن يتوقف . وانفثأ نفاد الصبر فى كلمات انطلقت ، قبل أن يحاول أن يمسك لسانه ويلزم الحذر :

ـ هل تعتزم البقاء هنا طيلة الليل ؟

ـ ... تعتزم البقاء هنا طيلة الليل ؟

ورانت لحظة صمت مشدوه . عقلان امليا على لسانين تساؤلا واحدا ، فى وقت واحد !.. وكان « ستيفن هارتلاند » الأسبق الى نفض الصمت المشدوه عن ذهنه . ولعل ضحكته كانت متوترة ، ولكن كلماته انسابت بيسر :

ـ أترانا هنا لغرض واحد يا صاحبى ؟

وانساب من الآخر صوت واضح ، فى تثاقل توحيه المرارة المدمرة عادة :

ـ يبدو أن الأمر كذلك ...

قال ستيفن هارتلاند : « موعد مع الجسر !.. لكم قرأت بأن الأمر ليس بالقسوة التى تتصورها ، بعد التعرض لصدمة البرودة الأولى ، عندما تمس الماء » .

ـ أمن المعقول ان يكون اقسى من ان يفتح المرء عينيه على يوم جديد .. مئات الأيام ؟

ـ انك مثلي يا صاحبي ، لا تصدر عن وحي اللحظة ، بل انك فكرت فى الأمر .. فلست تندفع متهورا .

ـ لقد ذروت رماد دنياى فى الهواء ...

ـ لندخن معا .. نفثات أخيرة ، فى جو من الزمالة ، قبل أن نمضي !

وانبعث الصوت فى شيء من السرعة : « فكرة طيبة .. اعتقد أن هذا يخفف عنا الأمر .. يخفف عنا الشعور بأن الوحشة تمد قبضتها لتحتويك ! »

● ●

● وواصلا الحديث فى الموضوع ، وهما يقفان خارج اطارى حياتيهما لأول مرة فى سياق هاتين الحياتين . فشاهدا نفسيهما وكأنهما ممثلان على خشبة مسرح !

وقال « ستيفن هارتلاند » لنفسه : « **ولكنى لم أعد ممرورا بنفس الدرجة التى كنت عليها ليلة أمس .. لعل مرد ذلك الى اننى قد شخت ، ولم أعد شابا له فى الحياة ما يدفعه للتشبث بها ...** »

لقد قال الرجل ، بعد أن تبادلا قصتيهما : « هذا هو الموقف .. عودة بعد الحرب ، وتخلص من الزى العسكرى ، ولكن .. ماذا ؟ .. بيت تلاشي ، وعمل زال . اننى واحد من أصحاب المهن الحرة المنبوذين ! .. ثم المرض .. ونفاد النقود ! .. ومن يحفل بالمرء ؟ .. انه يصبح هدف الاهانات الرخيصة من السياسيين الذين استقروا فى مناصب مأمونة . لقد ضقت بكل شيء . **بوسعهم أن ينتشلوا جثتى من النهر ، ويهدهد المجتمع ضميره بان يعلن ان توازن عقلى قد اختل !** »

قال ستيفن هارتلاند ، بواعز خفي : « انك شاب ، وبوسعك أن تبدأ من جديد » .

ـ وأنت لديك من الخبرة ما يساعدك على بداية جديدة !

وتحول الحوار الى قذائف يرمى بها كل منهما الآخر ليثنيه عن عزمه . واخيرا ، راى « ستيفن هارتلاند » الا سبيل لترجيح رأيه على رأى الآخر ، الا بأن يضحى برغبته ، فقال :

ـ اسمع .. هناك غد دائما . فهل تحنو حذوى ، اذا أنا ابديت استعدادا لأن أفسح للصباح التالى فرصة ، يثبت فيها ان كان من ورائه خير أو شر ؟

ثم ابتسم فى الظلام ، وأردف : « .. وعلى أية حال ، فان الجسر لن يغيب عن مكانه ! »

ـ الصباح ؟!.. أتراني لم أعان قسوة الشعور بالحرمان عندما أجد صندوق البريد خاويا ، يوما بعد يوم ؟

ـ تحملها مرة أخرى .. وسافعل مثلك ؟

وتغيرت لهجة الصوت ، وهو يقول : « وهل نلتقى مساء الغد ؟ .. هنا ، حوالى هذا الوقت ؟ »

قال ستيفن هارتلاند : ((**اتفقنا !**))

وتحرك فى الظلام شىء ما .. وداخل « ستيفن هارتلاند » شعور غامض بأن شخصا ما عبر الجسر من الجانب الآخر ، ولكنه لم يحاول تبينه ، لفرط استغراقه فى الحديث ..

وانبعث ـ بالقرب منهما ـ صوت مبحوح ، لاهث : « بالله عليكما ، ألن تنصرفا من هنا ؟.. اننى أريد أن أخلو الى نفسى فوق الجسر للحظات قلائل ! »

● ●

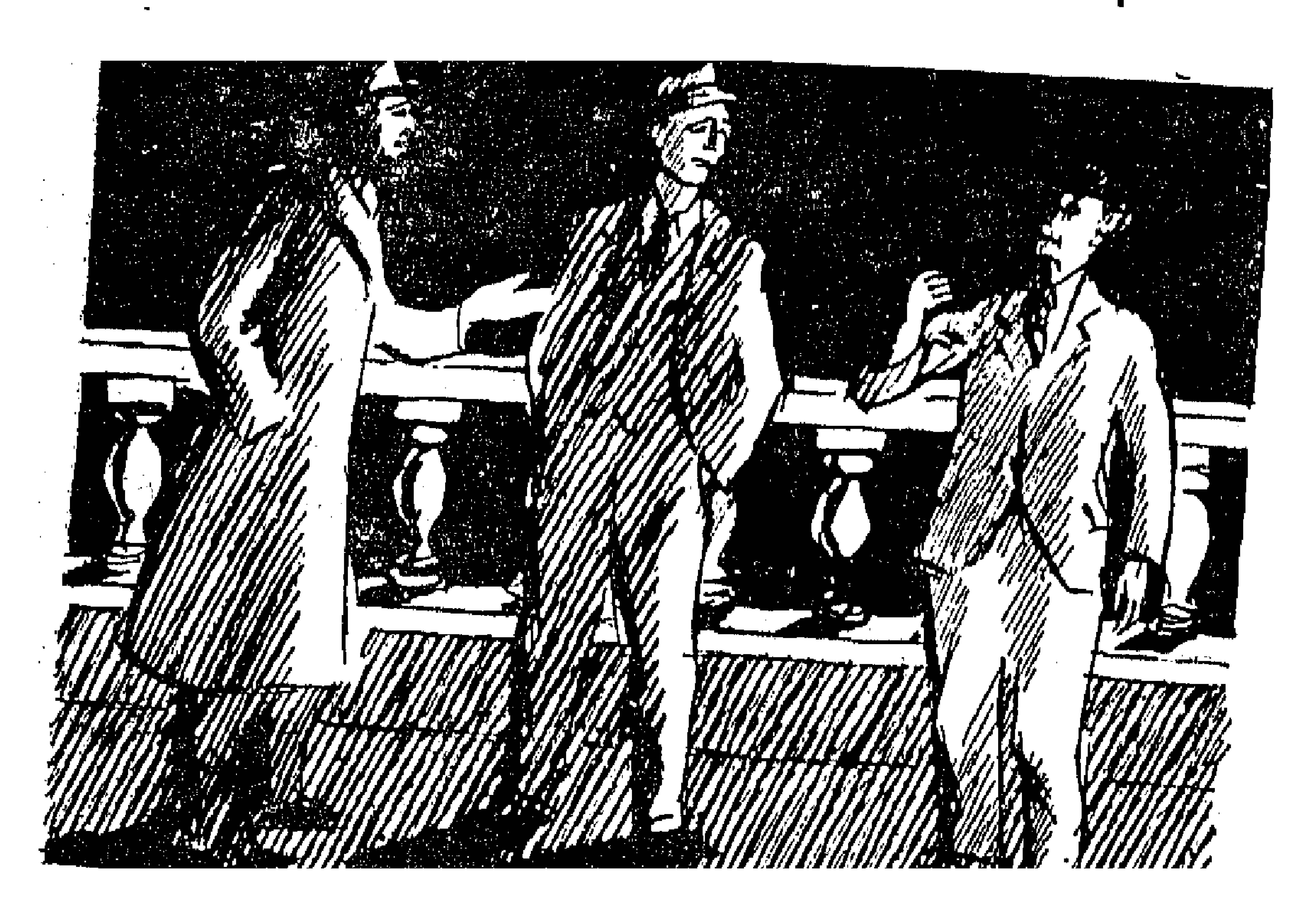
● **هكذا** كان الجسر فى الليلة الماضية ..

انك على موعد هناك الليلة يا « ستيفن هارتلاند » !.. موعد مع الرجلين .. ستلتقون ثلاثتكم فوق الجسر !

كان هذا اللقاء يبدو معقولا ، اذ ذاك ، أما الآن ، فالأمر يبدو مختلفا . يبدو خياليا بعض الشىء ، أحمق نوعا ما !..

وشعر « ستيفن هارتلاند » بارتياب فى أن يحضر الرجلان . او .. قد يأتى الرجل الضئيل الجسم ، ذو الصوت المبحوح .. انه قادم بلا مراء ، بجسمه واسمه .. كان اسمه « البيرت كزينز » . يا للمسكين ! لن يكون للتأخر يوما واحدا اثر عليه ، فإن النهاية محتومة ، لا مناص منها ، فقد قال :

ـ انهم لا يستطيعون اجراء جراحة لى .. احسبهم بذلوا كل ما فى طوقهم . انها من تلك الحالات التى لا حيلة فيها . قد أكون مخطئا فيما اعتزمت ، ولكنى أوثر أن أسير لنهايتى على قدمى ، بدلا من أن أضمر واذبل واصبح جلدا وعظاما ، فى انتظارها .. لقد شهدت وفاة مريض بالسرطان . اننى أعرف أن لدى فرصة لأن أعيش بضعة أشهر ، ولكنى أفضل أن أختم حياتى بسرعة ، وأنا بعد على شىء من المقدرة ...



يا للمسكين !.. أجل ، لابد أن « ألبرت كزينز » قادم . لقد تقبل الاقتراح ، من قبيل العطف فحسب : « الأمر سيان بالنسبة لي ، ولكن الارجاء للغد قد يساعدكما ، وسوف .. أجل ، سأقابلكما مساء غد ! »

لعله حدس انه سيجد الجسر خاليا .. وعندما تكون موقنا من أن الفجر الجديد لن يأتى لك بجديد ، فهذا لا يعنى انه سيطلع على غيرك خالى الوفاض !

هل من العطف والرحمة أن يصافح الرجل الضئيل الجسم ، قبل أن يهوى فى الفضاء ؟ .. ربما ! ولكن المرء — ولا ريب — يشعر بشيء من الحماقة اذ يقول : « لا يبدو الأمر عاجل الضرورة ، كما كان يبدو بالأمس . أشعر بأن تغيرا طرأ على الموقف ، ولكن التوتر خف .. لعل بوسعى أن أمضى فى التجربة ، أنا الآخر ! »

وعرج فى نهاية الشارع ، فلاح له النادى ، وفى مدخله أضواء ترحب بالوافدين . سيكون جو النادى مريحا ، فماذا يمنع من الدخول ؟

ولكن « البرت كزينز » ينتظر هناك !

ليس من الشهامة تركه يذهب الى الجسر وحيدا . ومن الأفضل توديعه بكلمة رقيقة . ولكن ذلك الشاب المزور النفس قد يكون هناك !.. **عجبا ، لقد أصبحت مشكلتا سواه هنا اللتان تشغلان باله ... !**

ترى هل يكون ذلك الشرطى اللطيف هناك ؟.. لكم سيكون تبادل التحيات — من جديد — أمرا غريبا .. انها دراسة فى المتناقضات !.. ان الحياة — حتى فى وضعها الراهن — تلد مواقف طريفة حقا !

● ●

● **وكان** الجسر فى مكانه ، ولكن ما من شرطى هناك ..

ولمة مركبات قليلة تجتاز الجسر ، فقد كان الوقت مبكرا ـ بعض الشيء ـ عن موعـد الأمس .. وهنـاك النهر ، بمائه البارد ، أشبه بزيت أسود تتخلله ديدان ملتوية من الضوء .. انها انعكاسات المصابيح !

وها هنا مكان اللقـاء .. بعد أقواس دعامات الجسر بقليل ..

ـ أهلا ! اذن فقد جئت ؟! .. يا للعجب ، كنت أظنك لن تأتي !

ـ أصارحك بانني أوشكت الا اجيء ، ولكنني شـعرت بخزي لا أدرى ماتاه .. انه خوف وليد المدنية .. الخوف من الظهور بمظهر الأحمق السخيف .. ومن ثم كنت ادخل النادي أثناء مجيئي .. اصدقك القول ، انني لم اتوقع ان القاك .. انما كنت افكر في ذلك البائس « البرت كرينز » !

ـ كذلك كان الأمر معي . كنت اتسـلى بتأمل النهر في انتظار أن يأتي . هل تلمح أضواء زورق الشرطة ، في منتصف النهر ؟ . ان الزورق يتحرك ببطء شديد ، ولن يدهشني أن تكون ثمة عملية انتشال . ما أغرب الشعور الذي يخامرك اذ تفكر في أنه كان من المحتمـل ان تكون جثتـك هي التي ينتشلون ..!

ـ فكرة لا تبعث على السرور . الا قل لي .. كيف كان حظك اليوم ؟

ـ لقد مر اليوم ، كغيره من الايام . الأمانة تحملني على أن أقول انني كنت في شبه غيبوبة .. وجـوم كئيب خامل .. ما أراني الآن مسـتعدا للقفز الى المـاء ، فالأمر لا يستحق المجهود الذي يتطلبه .. واذا كانت الظروف لا تبـدو قد تغيرت ، فاني أنا تغيرت .. لقد جرفني تيـار اللامبـالاة بعيـدا ...

ـ تكاد حالى تشبه حالك . لو انك سـألتنى عما كنت أفعل فى يومى ، لوجدت عناء فى أن أوافيك بصورة واضحة . ألم أخبرك بأن مخى يركن الى النعاس أحيـانا . هكذا كانت حاله اليوم . على أن التوتر تلاشى ، حتى وأنا أعلم أن زوجتى خرجت الليلة مع عشيقها ، فالأمر لم يعد .. أجل ، لم يعد يثير اهتمامى .. عجبا ، ها هو صديقنا ((ألبرت كزينز)) !

ـ مساء الخير !.. اذن فقد اجتمعنـا مرة أخرى ؟.. كأسرة سعيدة !

ـ ربما كأسرة ، ولكنى لا أجزم بأنها « سعيدة » ، فالبرد هنا قارس ، ولو اننى فى النادى لكنت أسعد حالا ، فيما أرى .. ولكن ، حدثنا أولا عن نفسك .. ماذا فعلت بعد انصرافك ليلة الأمس ؟

ـ ماذا فعلت ؟.. ياله من سؤال !.. فعلت ما فعلتماه . تريثت برهة ، ثم عدت الى هنا لأقفز فى النهر !

واقبلت على الجسر سيارة ، مزقت أضواؤها الأماميـة الظلام ، فاذا الجسر جامد ، عار ، خال ..

اذن فقـد كان الذى واتاهما فى الموعد ، هو شـبح « كزينز » ، وليس « كزينز » نفسه ..

وتبخرت من رأسيهما كل رغبة فى الموت ، ولم تبق سوى الرغبة فى الفرار .. من الشبح !

قصة من إيطاليا

شرخ فى عقل "دون لولو"!

للكاتب الإيطالى الخالد
لويجى بيراندللو



ترجمة : م . ب

أسلوب واقعي وفلسفة غريبة !

يعتبر « لويجى بيرانديللو » من احسن القصصين المعاصرين ، لا فى ايطاليا وحدها ، بل فى العـــالم بأسره .. وقد فاز بجائزة « نوبل » للأدب . وقد اتسمت قصصه القصيرة ـ التى كتب معظمها فى الفترة بين سنتى ١٨٩٤ واندلاع الحرب العالمية الاولى ـ بغرابة فلسفتها ، مع واقعية احداثها ، ولعل القصة التى نقدمها لك على الصفحات التالية ، تشهد بذلك .

على ان « بيرانديللو » ـ الذى ولد فى (صقلية) سنة ١٨٦٧ ، ومات سنة ١٩٣٦ ـ يدين بالقدر الاكبر من شهرته ، الى مسرحياته ، ومن ثم فهو لم يعرف ككاتب قصة قصيرة ، بقدر ما عرف ككاتب مسرحى .. ولعل اشهر مسرحياته المعروفة للقارىء العربى ، هى : « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » .. واتسمت مسرحياته بعين ما اتسمت به قصصه : الواقعية ، مع غرابة الفلسفة ، حتى ليسائل المشاهد ـ او القارىء ـ نفسه : « ماذا يقصد المؤلف ؟ » .. ويحمله هذا على التفكير ، وعلى أن يستخلص لنفسه الغاية المقصودة من العمل الادبى .

● كان محصول الزيتون وفيرا ، فى ذلك العـام ، حتى انه أثقل الأشجار .. وساعد على اكتمال جودته ما شاع فى الجو من ضباب ، طيلة الفصل ، مما جعل « لولو زيراقا » يعلق آمالا جســاما على مزرعته فى (بريموسول) فلم يكتف بالأوانى والقــدور الفخـارية القديمة ـ التى كان يودعها

تخزن الخمور ـ لاستيعاب كل الزيت الذى توقع ان يدره عليه محصوله ، واوصى بصنع جرة اخرى كبيرة ، فى (سانت ستيفانو دى كامسترا) ، حيث اعتاد ان يوصى بقدوره وجراره المصقولة .

وكانت الجرة الجديدة هائلة ، تبلغ قامة الانسان طولا ، ولها بطن كبيرة الانتفاخ ، مما يبوئها مكانة الأم بين الجرار الخمس التى كان يمتلكها .

وقد يكون من الضرورى ان اذكر انه ـ الى جانب الخلاف الذى نشب بين « دون لولو » وصانع القدور ـ كان من العسير أن تجد شخصا سلم يوما من الشجار مع « دون لولو » لأتفه الأسباب .. اذ كان يكفى أن يسقط حجر عفوا من حائط مجاور ، أو أن يطير شىء من القش نحو مزرعته ، ليصيح بخدمه آمرا ان يسرعوا فيسرجوا بغلته ، ليطير الى المدينة ، فيرفع الامر الى السلطان !.. حتى لقد أوشك على الافلاس لفرط ما كان ينفق على المحامين والقضايا .. ودائما ما كان ينتهى الأمر بأن يخسر الدعوى ، ويدفع نفقات الاجراءات القضائية عن الجانبين !

ويقول الناس ان محامى « دون لولو » قد سئم رؤيته مرتين أو ثلاثا فى كل أسبوع .. كما يقال ان « دون لولو » حاول ان يختصر سجل قضاياه ، فجمعها فى دفتر فى حجم « كتاب الصلوات » ، ضمنه ملخصا لكل قضية ، وموجزا لكل مشكلة مرت به ، ليسترشد بذلك فى الحكم على مدى صواب او خطأ موقفه من اى نزاع ، قبل أن يسارع الى رفع الامر للقضاء !

وقد اعتاد القوم ـ اذا ما اختلفوا معه فى أمر ـ أن يستثيروه ، فيصيحوا مقلدين اياه : « اسرجوا البغلة ! » .. ولكنهم ـ بعد أن أعد هذا الدفتر ـ اصبحوا يقولون له :

« اذهب واستشر دفتر احــوالك ! » .. فكان يرد عليهم متوعدا : « سأفعل ، وسأخرب بيوتكم ! »

● ●

● ووصلت الجرة الفخارية الجديدة ، التى دفع فيها « دون لولو » أربعة « فلورينات » ، فوضعها الى جوار مخزن العنب . ريثما يعد لها مكانا مناسبا ..

وكانت جرة لم تر البـلدة أبدع منها ، ولذلك ضاقت صدور الكثيرين لرؤيتها فى ذلك المكان . الذى كانت رائحة عصير العنب والرطوبة العطنة تثقل جوه .

وكان على « دون لولو » ــ وقد بدأ جمــع العنب قبل يومين ــ أن يبقى الى جوار عمال الحصاد يراقبهم ، ويراقب ــ كذلك ــ الرجال الذين أخـذوا يجيئون بالبغــال محملة بالسماد ، ليكدسوه الى جوار التلّ ، حيث كان يمتلك حقلا أعتزم أن يزرع به « فاصوليا » للموسم القادم . وكان يشعر بأن هذا العمل أكبر من أن يقــوم به رجل واحد ، اذ كان مضطرا الى ان يروح ويجىء ليراقب الفــريقين .. وكثيرا ما نازعته نفسه الى أن يقتل شخصا أو اثنين ، لمجرد أن حبة من العنب وقعت أثناء النقل .. وكان يحاسب الحاصدين وكأنما أحصى حبات العنب قبل جمعها !.. ومن حين الى آخر ، كان ينصرف عن جامعى العنب الى أصحاب البغول ، مهددا اياهم بالويل والثبور ، اذا ما اكتشف أن أحدهم حمل مقدارا أقل مما ينبغى !

وكان يقى رأســه بطاقية بيضاء ، وقد شمر كميه عن ساعديه ، وفتح صدر قميصه ، وراح يجرى هنا وهناك ، وحبات العرق تجلل وجهه الأحمر .. وقد أومضت عيناه بشراسة ، وأخذت يده تحك ــ بحركة غاضبة ــ ذقنه التى

نبت شعرها .. وما كان أسرع الشعر الى النمو غزيرا بمجرد أن يرفع الموسى عن فوديه !

● ●

● وكانت قد انقضت ثلاثة ايام كاملة من العمل ، عندما ذهب ثلاثة من عمال المزرعة ـ ذوى الوجوه القذرة ـ الى مخزن العنب ، ليودعوه احمالهم من المحصول .. ولكنهم لم يكادوا يدخلونه ، حتى سمروا فى أماكنهم مشدوهين ، اذ رأوا الجرة الجديدة مكسورة الى نصفين ، وكأنما شقتها موسى حادة الى شطرين !

ـ اواه ! يا الهى !.. انظرا !

ـ يا للسماء !.. كيف حدث هذا ؟

ـ ما الذى سيفعله « دون لولو » عند سماعه بالأمر ؟

واقترح اول الثلاثة ـ وكان اكثر من زميليه خوفا ـ أن يغلقوا باب المخزن ، ويبادروا بالانصراف فى هدوء ، تاركين احمالهم الى جوار الجدار ، فى الخارج . بيد أن الثانى عارضه ساخطا :

ـ يا لغبائك !.. ان يغتر « دون لولو » بهذا ، وقد يتهمنا بأننا الذين كسرنا الجرة .. كلا ، لنبق جميعا هنا !

وتقدم الى الباب ، فصفق بيديه مناديا : « دون لولو !.. دن لولووو ..! »

واقبل الرجل ، فما أن راى القدر مكسورة ، حتى صب جام سخطه على المزارعين الثلاثة ، وامسك برقبة احدهم ، فدفعه الى الجدار ، وصاح :

ـ ستدفع ثمن فعلتك ، وحق العذراء !

وانقض زميلا العامل على « دون لولو » بحركة ضاربة ، وابعداه عن صاحبهما .. واذ ذاك تحولت ثورة « دون لولو » لتنصب على نفسه ، فاخذ يدق الارض بقدميه ،

وطوح بقبعته ، وانهال لطما على وجهه ، باكيا خسارته ، وكأنما فقد قريبا عزيزا . .

ـ الجرة الجديدة !.. لقد دفعت من أجلها اربعة فلورينات !

من عساه يكون قد كسرها ؟.. أيحتمل أن تنكسر من تلقاء ذاتها ، دون فاعل ما ؟.. لابد أن شخصا كسرها .. ولابد انه كسرها بدافع الحقد ، أو لعله الحسد !.. ولكن ، متى ؟.. وكيف ؟.. لم يكن ثمة ما ينم عن عنف .. أفيحتمل أن تكون قد وصلت من المصنع مكسورة ؟.. كلا ، لقد كانت سليمة ، وكان لها رنين كالجرس ، عندما أحضروها !

● ●

● واذ راى العمال أن سورة غضبه قد هدأت أخيرا ، شرعوا ينصحونه بألا يقسو على نفسه بهذا الشكل ، ما دام من الممكن اصلاح الجرة ، لا سيما أن الكسر لم يكن فادحا .. كان خطا واحدا ، فى وسع أى مجبر ماهر أن يجبره باللحام ، فتعود الجرة كالجديدة تماما !

وكان العم « ديما ليساس » أول من خطر ببالهم ، فهو قد اخترع نوعا من « أسمنت اللحام » حرص على تكتم تركيبه ، واثبت أنه كان لحاما فريدا ، اذا جبر به شيئا فلن تستطيع له كسرا ، ولو طرقته بمطرقة !.. لذلك اقترحوا على « دون لولو » استدعاءه ، وتعهدوا بأن يحضر مع اشراق النهار التالى ، اذا قبل اقتراحهم !

ولم يعرهم « دون لولو » ـ فى البداية ـ سمعا ، اذ بدا له الا أمل يرتجى ، وما من شىء يصلح الكسر .. بيد انه ما لبث أن مال الى الاقتناع ، فلم يسفر الصبح حتى كان العم « ليساس » قد وصل الى « بريموسول » ، وعلى ظهره ربطة ضمت كل معداته .. وكان شيخا أشوه الوجه ، دقيق

الاطراف ، كشجرة زيتون هرمة .. لا تخرج الكلمة من فمه الا بعناء ، وكأنك تنتزعها منه انتزاعا !

وكانت ظلالا من الأسى ترين على اساريره ، لعل منشأها انه لم يكن يلقى من الناس تقديرا لموهبته كمخترع !.. ولم يكن العم « ديما ليساس » قد سجل اختراعه بعد ، ففد آثر الابطاء حتى تثير نتائجه الباهرة ضجيجا يكفل له الشهرة والرواج .. وهذا ما دعـــاه الى أن يكتم سره ، فلم يطلع عليه أحدا .

● ●

● ألقى « دون لولو » على العم « ديما ليساس » نظرة فاحصة ، شملته من رأسه الى قدميه لمدة دقائق ، ثم قال فى ارتياب :

ـ أرنى هذا اللحام الذى اخترعت !

فهز العم « ليساس » رأسه رافضا ، وقال : « اسوف ترى نتائجه ! »

ـ ولكن .. هل سيكون متينا ؟

ووضع الرجل ربطته على الأرض ، فأخرج منها لفافة حمراء ، عبـــارة عن منديل أحمر كبير ، التف لفات عديدة حول شيء ما . وبدأ يفك اللفات فى حرص ، والجميع حوله يرقبونه بانتباه شـــديد . ثم انفجروا ضاحكين حين تبينوا أن المنديل لم يكن يضم سوى نظارة كسرت ذراعاها ، فحل محلهما رباطان من خيط .. ولم يحفــل بهم العـــم « ديما ليساس » ، بل ثبت النظارة فوق أنفه بحرص ، ثم أخــذ يفحص الجـــرة بعناية وأناة ، وما لبث أن قال : **« سيكون متينا ! »**

قال دون لولو : « ولكنى لا اثق باللحام وحده .. لا بد من استعمال مشابك حديدية ! »

وكان جواب الرجل : « **اذن .. فانا منصرف !** »

واعاد لف نظارته فى المنديل ، ورفع الربطة الى كتفه ، ولكن « دون لولو » أمسك بذراعه ، وهو يصيح :

ـ منصرف ؟.. الى أين ؟.. ان أخلاقك ليست خيرا من أخـــلاق الخنزير !.. يا لك من صعلوك تتعاظم !.. الذى يحنقك أيها الغبى ؟.. اننى ساضع فى الجرة زيتا ، أفلا تعـلم أن الزيت قـد يرشـح خـلال الكسر ، اذا أنت استخدمت « الأسمنت » وحـده ؟.. اننى أريد مشـابك حديدية مع الأسمنت ، ومن حقى أن أقرر ما أريد !.

واغمض العم « ديما ليساس » عينيه ، وزم شفتيه .. هكذا شان الناس جميعا ، لا يريدون أن يتركوه يعمل وفق ما يراه اصلح ، على هدى فنه ، ليثبت لهم ميزات اللحـام الذى اخترعه ..

وقال اخيرا : « اذا لم يعد سليما تماما ، من جديد .. »

ولكن « دون لولو » قاطعــه قائلا : « لا أريد أن أسمع كلمة واحدة .. افعل ما أريد ، وسأدفع لك لقاء الأسمنت والمشابك ، كم تريد ؟

ـ اذا أنا استخدمت « الأسمنت » وحده ..

ـ يا الهى !.. يا لك من عنيد !.. ماذا قلت لك ؟ قلت أريد مشابك حديدية ، وسأجزيك بعد اتمام العمل ، فان وقتى لا يتسع لأن أبدده معك !

● ●

● **وانصرف** الى مراقبة رجاله ، بينما شرع العم « ديما ليساس » فى العمل ، وهو يشعر بأن كرامته قد جرحت ، فأخذ يصب سخطه مع كل ثقب كان يحفره فى جانبى الكسر من الناحيتين ـ للمشابك ..

واختلطت ضوضاء آلته الثاقبة بصيحات الخنازير فى حظيرة قريبة .. وما أن اتم حفر الثقوب ، حتى القى بالآلة الثاقبة بضيق ، ورفع شطرى الكسر ليسوى احدهما بالآخر ، ويتاكد من تقابل الثقوب . ثم تناول مقصا معدنيا ، وراح يقطع اجزاء صغيرة من سلك حديدى .. ثم دعا أحد العمال ـ الذين كانوا يجمعون العنب ـ وساله أن يساعده .

وبحركة غاضبة فتح صندوق « الاسمنت » ، ورفعه الى السماء وكأنه يشهدها على انكار البشر لقيمته .. واخذ يسبغ من المادة على طول جانبى الشق .. ثم حمل قطع السلك و « كماشة » ، ودخل فى أحد شطرى القدر المكسورة ، وطلب الى العامل ان يطبق عليه الشطر الآخر . وقبل ان يسلك القطع الحديدية فى الثقوب ، قال من داخل القدرة .

ـ احكم اطباق الشطرين ليلتصقا بالإسمنت .. هكذا ! .. ارايت كيف التصق الشطران !.. لعنة الله على من يابى ان يصدقنى من الناس !.. اطرق جانبى القدر ! اترى كيف ترن كالجرس ، برغم وجودى بداخلها ؟.. اذهب واخبر مخدومك بذلك !

فقال الرجل ، وهو يطلق زفرة : « للسادة أن يصدروا الاوامر ، وما على الصغار الا ان يطيعوا .. ثبت الأسلاك فى الثقوب ! »

وشرع العم « ديما » يدس الأسلاك فى الثقوب المتقابلة ، ويحكم ربطها من الداخل .. واستغرقت العملية ساعة ، اغرقه العرق خلالها ، وهو طيلة الوقت لا يكف عن التذمر والشكوى ، والعامل يحاول أن يسرى عنه .. حتى اذا انتهى العمل ، قال العم ديما : « والآن ، ساعدنى على الخروج ! »

ولكن .. بقدر ما كان بطن الجرة واسعة ، اذا بعنقها ضيق ! وعبثا حاول العم « ديما » أن يفلت من العنق ، فقد عجز عن الخـروج برغم ما راح يبذل من جهـود . ووقف العامل مستغرقا فى الضحك ، بدلا من أن يحاول مساعدته !

● ●

● **وهكذا** أضحى الشـيخ « ديما » المسكين ، سجين الجـرة التى أصلحها . ولم تعد ثمة وسـيلة لاخراجه الا بكسرها ثانية . . ولكن الكسر ـ فى هذه المرة ـ قد يكون كبيرا !

وسمع « دون لولو » الضحك والصياح ، فأقبل مهرولا ، ليرى العـم « ديما » داخل الجـرة ، مهتاجا كقط ثائر ، وهو يصيح :

ـ أخرجنى من هنا ، بحق السماء !.. أخرجونى !.. أسرعوا !.. ساعدونى !

وتراجع « دون لولو » مشدوها ، لا يكاد يصدق شيئا .. وأخذ يردد : « ماذا ؟.. داخل الجرة ؟.. هل حبس نفسه بالداخل ؟ »

وتقدم من الجرة ـ أخيرا ـ وصاح بالعم ديما :

ـ أساعدك ؟!.. اية مساعدة تحسبنى قادرا على أن اقدمها لك ؟.. ما معنى هذا أيها العجـوز ، المخرف ؟.. لماذا لم تتفقد حجم الرقبة منذ البداية ؟.. تعال ، حاول ! اخرج ذراعك !.. نعم ، هكذا !.. والآن ، أخرج رأسك!.. لا ، لا ، برفق !.. أدخل ثانيـة !.. انتظر ! ليس بهـذه الطريقة !.. ارجل الى الداخل ! كيف تضع نفسك فى هذا الوضع ؟.. ماذا أنا فاعل بقدرى الآن ؟

وصرخ فى الواقفين حوله : « هدوءا !.. هدوءا ! » .. كأنما كانوا هم مصدر الجلبة ، وليس هو !

واستطرد يصيح : « ان راسي يدور !.. هدوءا ، فهذه مشكلة جديدة ، لا عهد لي بها .. اسرجوا البغلة ! »

ودق على الجـرة بيـده ، فاذا بها ترن كالجرس !..

وصاح راضيا : « حسن !.. انك اعدتها جديدة !.. ولكن ، انتظر لحظة ! »

وضغط جبينه باصابعه ، واضاف ، « يا للحيرة !.. اى الطـرق اتبع !.. ليست هذه جـرة ، وانما هي لعنة من الشيطان !.. الزم الهدوء ! »

واسرع يثبت الجرة ، اذ كانت حركات العم « ديما » لا تهزها ، وهو في هياج كوحش في مصيدة !

ـ انها مشكلة جديدة ، يجب ان استطلع راى المحامي فيها !.. اين ذلك البغل ؟.. اسرعوا فاسرجوا البغل !.. سانطلق بسرعة ، ثم اعود ، فاصبر يا رجل !.. اهـدا حتى اعود ، فلابد من ان اتبين حقوقي القـانونية ، وان اعرف الصواب .. اليك ، سادفع لك اجر عملك ، اجر يوم كامل اليك خمس ليرات ، فهل يكفيك هذا ؟

وصاح العـم ديما : « كلا ، لا اريد شـيئا .. سـوى الخروج ! »

ـ ستخرج عندما اعود .. وحتى ذلك الوقت ، اليك اجرك .. خمس ليرات !.

والقى بالنقود في جوف الجـرة ، ثم تسـاءل : « هل تناولت غداءك ؟.. احضروا له خبزا وشيئا ما ، حالا !.. ماذا ؟ لا تريد طعـاما ؟.. لا باس ، القوا به الى الكلاب ان شئت ، ولكني افعل ما يقضي به الواجب ، فاقدمه لك ! »

● ●

● وامتطى « دون لولو » بغلته ، وانطلق نحو المـدينة

.. وراح طيلة الطريق يحدث نفسه ، ويأتى باشارات جعلت كل من رآه يظن انه انما كان ذاهبا ليحل نزيلا على مستشفى الامراض العقلية !

وساعده الحظ فلم يطل انتظاره ، قبل أن يدخل مكتب المحامى .. ولكنه اضطر للانتظار طويلا ، حتى يفرغ المحامى من ضحكه ، بعد أن أصغى الى القصة .. وأحنقه سلوك المحامى ، فقال فى انفعال :

ـ عفوا ، لست أرى ما يستدعى الضحك .. الأمر بسيط بالنسبة اليك ؛ لأنك لا تعانى شيئا .. فلست أنت صاحب الجرة !

ومن جديد ، عاد المحامى يضحك .. ما لبث أن سأله أن يروى الحكاية ـ مرة اخرى ـ بتفصيل واسهاب .. ثم عاد يضحك ، وهو يقول :

ـ فى جوف الجرة ؟!.. اذن ، حبس نفسه بالداخل ؟.. وماذا يريد « دون لولو » أن يفعل ؟ .. أتريد أن تبقه .. تبقيه داخل القدر ؟.. ها ! ها ! ها !.. تبقيه بداخلها ، لكى لا تكسرها !؟

وصاح دون لولو : « ولماذا أكسرها ؟.. ماذا يدعونى لأن أبدد نقود ؟.. ولماذا يضحك الناس منى اذ أحرص على حقوقى ؟ »

وقال المحامى أخيرا : « **مهلا .. الا تدرى ماذا يسمى ذلك قانونا ؟.. انه يسمى : السجن خطأ !** »

ـ سجن ؟.. ليكن ! ومن الذى سجنه ؟.. هو الذى سجن نفسه ، فلماذا أتحمل خطأه ؟

وشرح له المحامى ان للمشكلة شقين . أولا : على « دون لولو » أن يطلق سراح الرجل فورا ، اذا شاء ألا يتهم بسجن الغير خطأ !.. وثانيا : ان الرجل مسئول عن تعويض

« دون لولو » عن الخســـارة التى سببها بعـــدم مهارته او بغبائه !

اذ ذاك فقط ، تنهد « دون لولو » بارتياح ، وقال :

ــ آه !.. اذن فعليه ان يدفع لى ثمن القدر !

ــ **مهلا !.. انتظر !.. ان يدفع ثمن الجـــرة وهى جديدة . تذكر هذا !**

ــ ولم لا ؟.. اليست هى جديدة ؟

ــ **ولكنها كانت مكسورة .. وكان الكسر بالغا ، كذلك !**

ــ مكسورة ؟!.. كلا يا ســيدى ، انهـــا ليســـت الآن مكسورة ، بل أصبحت أفضل مما كانت !.. الرجل نفسه يشــهد بهذا ، واذا كان لزاما ان اكسرها ثانية ، فسيتعذر اصلاحها فى هذه المرة ، وسافقدها تماما .

ورأى المحامى ان هذه نقطة جديرة بالاعتبار ، ومن ثم سيكون على الرجل ان يدفع ثمن الجرة بحالها الراهنة .. وقال : « **وعلى هذا ، استدرج الرجل ليقدر بنفســه حال الجرة وقيمتها الراهنة ، قبل كل شىء !** »

واعجب « دون لولو » بالفكرة ، فانصرف مهرعا !

● ●

● **واذ** عاد الى مزرعته قبيل الغروب ، وجـــد الرجال ملتفين حول الجـــرة ــ التى كان الرجل بداخلها ــ وكلاب الحراسة تشاركهم ضجيجهم . ولم يكن العم « ديما » قد هدأ فحسب ، بل انه راح يضحك من نفسه فى وضعه هذا !

ودفعهم « دون لولو » جانبـــا ، ونظر داخل الجـــرة ، وصاح : « كيف حالك ؟ »

فأجابه الرجل : « **بخير !.. حال سعيدة ، فهذا مكان احسن من بيتى !** »

ـ لكم يسعدنى ان أسمع هذا !.. ولكنى أود أن اعرفك بأن هذه الجرة كلفتنى اربعة فلورينات وهى جديدة .. كم تظنها تساوى الآن ؟

وسأله العم ديما : « **أتقصد قيمتها .. وأنا بداخلها ؟** »

وضحك الناس ، فصاح بهم دون لولو : « سكوتا ! » .. ثم عاد يخاطب سجين الجرة :

ـ اما أن يكون لحامك ذا قيمة ، أو لا يكون كذلك ، وليس هناك احتمال ثالث !.. فاذا كان غير ذى قيمة ، فأنت غشاش !.. أما اذا كان ذا قيمة ، فمعنى هذا أن الجرة الآن قيمة .. فماذا عساها أن تكون ؟.. اننى اسألك ان تقدرها بنفسك !

وفكر العم « ديما » لحظات ، ثم قال :

ـ اليك اجابتى : لو أنك كنت قد تركتنى أصلحها بالاسمنت فقط ، لما وجدتنى فى هذا الوضع ، ولكانت الجرة قد عادت الى قيمتها الحقيقية دون ما شك .. **أما وقد أصلحت بهذه السلوك الحديدية ، التى تطلبت ضرورة أحكامها من الداخل ، فقد اصبحت آثار اللحام ظاهرة ، وفقدت الجرة بذلك معظم قيمتها ، فهى الآن لا تساوى سوى ثلث قيمتها الأصلية .. لا أكثر ، ولا اقل !**

ـ ثلث قيمتها ؟!.. أى فلورين واحدا ، وثلاثة وثلاثين سنتا ؟

ـ **قد تكون اقل ، ولكنها لا يمكن أن تكون أكثر !**

ـ ليكن !.. عدنى بأن تدفع لى فلورين وثلاثة وثلاثين سنتا !

وصاح العم « ديما » متسائلا ، وهو لا يفهم شيئا : **ماذا ؟** »

ـ ساكسر الجرة لأخرجك منها ، وقد اخبرنى المحامى بأن عليك أن تعوضنى عنها ، ومن ثم فعليك أن تدفع قيمتها وفقا لما قدرته بنفسك : فلورين واحدا وثلاثة وثلاثين سنتا !

وضحك « ديما » قائلا : **أنا ادفع ؟!.. انني افضل البقاء فيها حتى اتعفن ! »**

● ●

● وبعناء أخرج من جيبه غليونا واشعله ، وأخذ ينفخ الدخان خارج الجرة .. فوقف « دون لولو » فى مكانه مغيظا ، اذ لم يخطر ببساله وبال محاميه أن « ديما » قد يفضل البقاء فى الجرة .. فماذا تراه فاعلا الآن ؟

واوشك ان يأمر رجاله بان يسرجوا البغلة ، ولكنه رأى ان الليل قد هبط ، فلم يملك سوى ان يقول : « آه ، آه !.. اذن فانت تريد الاقامة فى الجرة !.. انني اشهدكم ايها الرجال على انه يرفض الخروج ، ليتهرب من الدفع !.. انني مستعد لأن اكسر الجرة !.. **ما دمت تصر على البقاء ، فسارفع عليك فى الغد دعوى ، لاقامتك غير القانونية فى الجرة ، وحيلولتك بيني وبين استعمالها كما اشاء ! »**

ونفخ العم « ديما » آخر نفس من الدخان ، وقال فى هدوء :

ـ كلا .. لست امنعك اطلاقا !.. اتظنني هنا حبا فى البقاء ؟.. اخرجني ، وسيسرني ان انصرف الى حال سبيلي .. اما ان ادفع نقودا ، فهذا ما لا استسيغه ، ولو فى الحلم !

واوشك « دون لولو » ـ فى سورة الغضب ـ أن يدفع الجرة بقدمه ، ولكنه كبح جماح انفعاله ، وأمسك الجرة

بيـــديه وراح يهزها بعنف ، وهـو يزمجـر ، فصـاح « ديما » من جوف القدر :

ـ اأرايت مدى متانة الاسمنت !

وصاح « دون لولو » مهتاجا :

ـ غلطة من هذه ، أيها اللئيم ؟ .. غلطتك أم غلطتى ؟ .. اأدفع من مالى ثمن خطأك ؟.. مت حيث أنت ، أن شئت ، وسنرى أينا الرابح !

وانصرف مهتاجـا ، ناسيا كل شيء عن الليرات الخمس التى كان قد ألقاها للرجل فى الجرة ، عنـــدما انطلق ليزور المحامى .. **وكان أول ما جال بخاطر العم ((ديما)) ، هو اتفاق هذه الليرات فى اللهو مع عمال المزرعة ، الذين كانوا قد قرروا أن يقضوا ليلتهم حول الجرة ..**

ومن ثم ، أرسل العم « ديما » أحد الرجال بالليرات الى حانة قريبة ، ليأتيهم بما يلزم السهرة ..

● ●

● وكان القمر ساطعا ، أحال بضوئه الليل نهارا ، مما أدخل على السهرة بهجة . وأقبل الجميع على الشراب ..

ومرت ساعات ، ولم يغمض لدون لولو جفن ، لفـرط غيظه وحنقه ..

وفجـأة ، فطن الى صخب وصياح مزعجين .. وأسرع يطل من شرفة داره ، واذا به يرى الرجـــال وقد شعشعت الخمر فى رؤوسهم ، فراحوا يصيحون مخمورين ، وأمســك بعضهم بأيدى بعض وهم يرقصون حول الجرة ، بينما كان العم « ديما » يغنى ـ بداخلها ـ بأعلى صوته ..

وفى هذه المرة ، أفلتت أعصاب « دون لولو » ، فانطلق يجرى من الدار .. ومن المزرعة .. وقد فقد عقله !


الحياة الجنسية عند الإغريق
للباحث الاجتماعى
"هانز ليشت"

النزعات الجنسية وسلوك الانسان فى الحياة

من الحضارة الاغريقية ، اقتبست الحضـــارة الغربية المعاصرة فلسفتها ومبادئهـــا . ومن ثم فلا بد من ان ندرس حضارة الاغريق القدامى ، اذا شئنا ان نفهم حضارة الغرب . ويرى الباحث المدقق البروفيسور « هانس ليشت » ، انه لدراسة اية حضارة ، لا بد من البحث عن السلوك الجنسى لابنائها ، لان النزعات الجنسية تنعكس على معظم نواحى سلوك الانسان ، لا سيما فى النشاطات الفنيـــة والذهنية ..

وعلى الصفحات التالية ، يقدم لك « كتابى » تلخيصا وافيـا للحلقة الاخيرة من الدراسة الممتعة والقيمة ، التى قام بها البروفيسور « ليشت » حول « الجنس فى الحضارة الاغريقية » ، والتى قدمنا لك منها اربع حلقات فى الاعداد الاربعة السابقة ..

حب الرجل للمرأة

● كانت الفكرة السائدة عند القدماء ـــ وعنـــد الاغريق بوجه خاص ـــ هى أن الحب ، أو بالأحرى الجزء الجســـدى من الحب ، ليس سوى مرض !.. وهو نوع من الجنون أقل عنفا من الجنون المتعارف عليه !.. واعتبار الحب البـــدنى مرضا ، نشأ عن أنه ينجم عن الشهوة . **والشهوة اختلال فى التوازن الصحيح بين الجسم والعقل ، وهو التـــوازن الذى لابد من توفره ليكون المرء ســـليما . فتحت دفع الرغبـــة الجنسيـة ، يفقد العقل سلطانه على الجسد . أما اعتبار الحب البدنى نوعا من « الجنون » ، فمرجعة الى أن المقدرة العقلية**

ـ أو قدرة الذهن على الادراك ـ تصاب بتبلد مؤقت خلال المواقعة .
ومن الطريف أن العلم الحديث ـ فى شرحه للظواهر الجنسية ـ يبين ان المواد الكيماوية التى تتكون فى الجسم ـ عند المواقعة ـ تكون ذات أثر مخدر . ومن ثم فانها تسبب خمولا عابرا فى القوى الذهنية .
ولقد اعتنق الفيلسوف الألمانى « هارتمان » ـ ومن قبله « شوبنهاور » ـ هذه الفكرة عن الأفريق ، واستخلص منها الاستنتاج المنطقى . القائل : ((ان الحب يسبب من الألم أكثر مما يسبب من اللذة . فاللذة ليست سوى تصور . وكان خليقا بالعقل أن ينهانا عن الحب ، لولا ان الدافع الجنسى يتغلب على سلطان العقل .. ومن ثم ، فقد يكون الخصى (بتر الأعضاء التناسلية) افضل)) !.. غير ان المنطق شىء ، والعلم القائم على المشاهدة والحقائق شىء آخر . وقد اثبت العلم ان الخصى لا يذهب بالحافز الجنسى ، وكان الاغريق يعلمون ذلك .. بدليل القصة التى رواها « فيلوستراتوس » عن مغامرة عبد خصى مع سيدة من « الحريم » فى بيت مولاه .. وفى الأدب الاغريقى القديم الكثير من أمثال هذا الدليل .

العين مصدر الفتنة وحمرة الخجل توقد النار

● ولقد نظم « ثيوكريتوس » قصيدة كاملة فى الرثاء لصديقه الطبيب « نيسياس » ، والتوجع للواعجه ولوعاته الناشئة عن الحب ، بدأها بقوله :
« ما من علاج آخر للحب يا نيسياس ، سوى عرائس الخيال .. وانه لعلاج رقيق ، عذب ، ولكن الوصول اليه عسير » !..
ولو تاملنا هذه النصيحة ، لوجدناها تطابق ما ينصح به علم النفس الحديث من ((التسامى)) .. فكان الاغريق يدركون

أن خير علاج للحب ، هو تحويل الذهن والعواطف عنـــه ، بالاشتغال بأمور أخرى تستغرق تفكير المرء ومشـــاعره .
وقد دعا « ثيوكريتوس » صديقه الطبيب ــ فى هذه القصيدة ــ الى ان يحاول نظم الشعر ، ليشغل به عن هواه .

على أن الاغريق لم يكونوا يعرفون العـــلاج لداء الحب فحسب ، بل انهم كانوا على الما بكيفية سريان « سم الحب » من النفس والقلب الى الأعضاء . ويقول « سوفوكليس » أن منفذ السم هو **العين** .. فهى التى ترى « ما فى عينى العذراء من سحر فاتن ، تمارس خلاله الربة « افروديت » هوايتها التى لا سبيل الى مقاومتها » !.. ويقول « يوريبيدس » عن دور العين : « ان ايروس يقطر الشوق من العينين ، فيوقظ الرغبة فى نفس الشخص الذى يريد أن يخضعه للهوى » !.. ويتكلم « ايخيلوس » عن « سهم الحب الرقيق ، الذى ينطلق من العينين » .. كما يقول « آخيل طاطيوس » ان للجمـــال جراحا تفوق ما يحدثه السهم .. « فهو ينفذ خلال العينين الى النفس ، لأن العين هى المسلك الذى يسلكه الهوى ليحدث جراحــه » !

وتضرج وجنتى العذراء خجلا ، يوقظ الحب فى الرجل .. حتى اذا أرسلت العذراء صوتا خلال شفتيها الورديتين ، ثم استسلام العاشق ، على حد تعبير « سيمونيدس » . ولكن هذه الغلبة ليست ساحقة ، لأن سحر العيون والخـــدود ، ينتهى الى صراع تكون فيه الغلبة للرجل !.. وفى هذا يقول أريستوفينس : « ولكن ، اذا كان ايروس وفينوس القبرصية ينفثان الرغبة فى صدورنا وأفخاذنا ، ويحـــدثان توترا لذيذا وقاسيا ــ فى آن واحد ــ فى الرجال ، فانى أرجو أن يقال عنا اننا نحن (الرجال) الذين نقرر نهاية الصراع » !.. وذلك عن طريق « المعابثات » : الشفتان فوق الشفتين ، والعنـــاق

الرقيق الطويل . والشفاه فاغرة ولســـان كل من الحبيبين يداعب لسان الآخر بينما تنطبق يدا الشـــاب على ثديى الفتاة واصابعه تتحسس الحلمتين .. وتعقب القبلات عضات رقيقة المنكبين والثديين ــ بوجه خاص ــ ثم تمتد يد الشاب فتنحسر غلالة الفريسة الحسناء .. توطئة لقربان الهوى !

كل هذه المداعبات و « الطقوس » ــ فى معبد الهوى ــ ماخوذة عن **الكتابات الاغريقية القديمة** .. على أن لكل مرحلة منها انواعا : فهناك القبلة التي يتناول فيها كل من العاشقين اذنى حبيبه . ليقرب وجهه اليه .. وهناك القبلة التي تطبع على الكتف او النحر او الثدي .. الخ .

صدر الانثى هو المنفذ الى المتعة

● ويبدو ان صدر الانثى كان مصدر الهام عظيم للادباء والفنانين الاغريق . ولا يبين مدى مشاعرهم نحو الصـــدر ، قادر قصة « فيرني » ومحاميها « هيبريدس » . فقد اتهمت « فيرني » بجريمة خطيرة . وانعقدت المحكمة للنظر فى امرها .. **وبدا ان الرأى العام كان يتجه الى اعدام المذنبة الجميلة . فما كان من « هيبريدس » الا ان مزق ثوبهـــا عن صدرها ، وكشف عما لثدييها من جمال رائق ، فاذا « تقدير القضاة للجمال » يحملهم على أن يحجموا عن اعدام صاحبة مثل هذا الصدر الفاتن !..** والذين قراوا قصة الحروب الطروادية ، يذكرون مدى نقمة الملك « مينيلاوس » ــ ملك اسبارطة ــ عندما افتتنت زوجته « هيلين » بالفتى « باريس » وتبعتـــه الى طروادة .. وبعد الغضب والحروب الأليمـــة ؛ لم يكد « مينيلاوس » يرى ثديى « هيـــلين » عاريتين ، وصـــدرها مكشوفا ، حتى نسي غوايتها ، وصفح عنها !

ولو أن كاتبـــا جمع كل ما انعكس على الأدب والفـــن الاغريقيين ، من مفاتن صدر الأنثى ، لملأ مجلدات . ولكنـــا

نكتفى بمثال أو مثالين .. فقد كتب « نونس » يشبه حلمتى الثديين بمصدرين لانطلاق سهام الحب .. وهو يصف كيف أن « ديونيسس » ـ كرمز للعاشق ـ يقرب يده الملهوفة من صدر الفتاة الواقفة أمامه ، و ..« **بحركة تبدو غير مقصودة ، يلمس البروز المتكور تحت صدرها ، فاذا ما لمس النهدين الشامخين ، بدأت يد الرب المفتون بالنساء ـ يقصد « ديونيسس » ـ ترتعش** » !.. وفى موضع آخر ـ من القصيدة عينها ـ يقول نونس : « وكان جزائى أن أمسكت بيدى تفاحتين كانتا تبدوان كفاكهتين توأمين نبتتا من جذع واحد » !

ومثالنا الثانى ، هو ما نظمه « أوفيد » الشاعر : « وأخيرا نضوت عنها ثوبها ، الذى كان من الرقة بحيث أنه لم يكن ذا أثر يذكر ..ومع ذلك فقد ظلت تناضل محاولة أن تستتر به. **وراحت تقاوم وكأنها غير راغبة ، ولكن تصرفها كشف عن حقيقة رغبتها ، اذ لم تلبث أن انهزمت بسهولة** ! واذ وقفت أمامى عارية تماما ، لم أر أية شائبة فى كل جسمها . فيا للمنكبين ويا للذراعين التى رأيتها وزحت أتحسسها !.. ويا للثديين المبدعتى التكوين ، وكأنهما خلقتا للمداعبة !..ولكم بدا قوامها مشدودا فى اتساق تحت ثدييها الناهدين ، لا تشوبه أية غضون !.. كان كل ما رأيت خاليا من أى عيب .. وفى افتتانى ، شددت قوامها العارى الى قوامى .. » !

العادة السرية عند الذكور والاناث

● **الشائع** أن العادة السرية مصدر اكتفاء ذاتى يعوض عن ممارسة الحب . ومهما يكن من الأسماء التى أطلقت على هذا النوع من العمليات الجنسية ، فنحن نؤثر أن نسميه ـ فى هذا الفصل ـ « العادة السرية » ..

• ولقد كان للعادة السرية ــ فى حياة الاغريق ــ دور ليس بالصغير .. اذ انهم لم يكونوا يعتبرونهـــا رذيلة ، ولم يكن لديهم نحوها من التحرج الخلقى ما هو معروف لدينا اليوم ، وان كانوا ــ فى الواقع ــ قد ادركوا اضرار الافراط فيهـا ، بقدر ما كانوا يعترفون بما تتيحه من لذة ومتعة . **وقصارى القول انهم كانوا ينظرون اليها كبديل لممارســـة الحب ، وكصمام امن خلقته الطبيعة لتفادى الامراض الجنســية ، وتجنب آلاف الاثام والخطايا التى تترتب على ممارسة الحب : كالانجاب غير الشرعى ــ وما ينجم عنه من نتائج ــ وكالسجن فى حالات الاغتصاب ، وكالانتحار الذى قد تقدم عليه الفتاة ..**

ومن ثم ، فان الاغريق كانوا يقرون العادة السرية ، حتى ان فنانيهم كانوا مشغوفون بتصوير مناظر ممارســتها على الأواني الخزفية . وفى المتحف الملكى ببروكسل ، توجد الى اليوم كأس اغريقية مزدانة برسم فتى يكلل الغار راسه ، وهو يمارس هذه العملية !

على أن العادة السرية للاناث ، كانت من الموضوعات التى لم ترد كثيرا فى آثار الاغريق الادبية . هذا امر طبيعى ، اذا راعينا أن أحاديثهم عن الرجال كانت هى الغالبة .. **والواقع ان الفتيات الاغريقيات لم يكن اقل ممارسة للعادة السرية من الفتيان .. وكن يمارسنها باليد او باستخدام آدوات كانت تبتكر وتصنع لهذا الغرض !..** وكانوا يسمون هذه الأدوات « بوبون » Bauhon أو « اوليسبوس » Olisbos .. ولقد كانت مدينة (ميليتس) التجارية ــ الوافرة الثراء والبذخ ــ مركزا لصناعتها ، ومنها كانت هذه الأدوات تصدر الى جميع البلدان .. وينم بعض ما ورد فى مخلفات الاغريق المكتوبة ، عن أن اعارة هذه الأدوات كانت عادة شائعة بين الصديقات !.. بل أن منهن من كانت تتحرى الصانع الماهر ، لتعهد اليه بأن

يصنع لها أدوات تلائمها وترضيها بشكل خاص .. وكانت الفتاة تستخدم هذه الأدوات وحدها ـ في خلوة ـ أو تشرك احدى صديقاتها معها . ومن هنا امتزجت العادة البسرية ـ لدى الاغريقيات .. ب « السحاق » ، وهو ممارسة العملية الجنسية بين أنثيين .

((سافو)) .. ملكة عاشقات الجنس المماثل !

● وتجمع المعلومات على أن السحاق كان شائعا في جزيرة (ليسبوس) بوجه خاص ، ولهذا اشتقت تعبيرات في بعض اللغات الأوربية ـ مثل « الليسبيانيزم » و « الحب الليسبى » للاشارة الى العلاقات المشينة بين الاناث بعضهن وبعض .. كما أن مصطلح « امراة ليسبية » يطلق ـ في بعض البلدان الأوربية ـ على المرأة الفاجرة ، بل على العاهرة أحيانا .

ولقد كانت (ليسبوس) مسقط رأس ((سافو)) ، التى وصفت في مخلفات الاغريق بانها من ((ملهمات الشعراء)) و ((عرائس الخيال)) و ((راهبات فينوس)) ، كما وصفت بانها ((ملكة الساحقات)) ، ملكة عشق الجنس المماثل في الحضارة الاغريقية ـ وكانت شاعرة موهوبة ، طبقت أشعارها الآفاق . وقد ولدت « سافو » في حوالى سنة ٦١٢ قبل الميلاد ، وكان لها ثلاثة أخوة ، هاجر أكبرهم ـ وكان يدعى « كاراكسوس » ـ الى (نوكراتيس) بمصر ، وهى أحد المواقع التى أقيمت عليها مدينة الاسكندرية .. فاستقر هناك بصحبة غانية هاجرت معه ، وتدعى « دوريكا » .

ولقد قيل أن « سافو » تزوجت ـ في صباها ـ وأنجبت ابنة تدعى « كلائيس » ، ولكن الأدلة على زواجها ضئيلة وضعيفة ، كما ان هناك ما يرجح أن « كلائيس » كانت احدى صديقاتها ، وليست ابنتها . **والذى تجمع عليه كل الادلة ، هو أن حياة ((سافو)) وأشعارها كانت تفيض بالحب لجنسها .**

وكانت تحيط نفسها بحاشية من الفتيات الحسان .. وكانت اجتماعاتها بهن تمتاز بتبادل الأشعار ، وبعزف الموسيقة ، وباللعب والرقص والغناء !

وكان حب « سافو » لفتياتها حبا عارما ، مشبوبا ، لم تتورع عن وصفه فى اشعارها بعبارات تتمثل فيها العواطف الفياضة ، والتصوير المتأجج الاثارة . وعلى ضوء ما تناهى الينا من كتابات الاغريق ، لم يكن حب « سافو » هذا معتبرا من الرذائل ، بل ان حب الجنس المماثل بين الاناث لم يكن رذيلة .. واذا كان ثمة لوم قد وجه الى « سافو » ، فما كان ذلك الا اصراحتها وعلانيتها فى المجاهرة بشىء كانوا يعتبرونه من الأسرار الشخصية !

الفحولة فى حب الأنثى لابنة جنسها !

● ولقد وصف « هوراس » سافو بانها « ذكر » ، لان طابع الفحولة كان اغلب ما يميز حبها .. وكانت تهتز بقوة هذا الحب العاتى « كما تهتز السنديانة فى العاصفة » !.. وبفيض شعرها بما كانت تلقاه من نشوة ، وهناء ، وآلام وازمات فى هذا الحب .

وكانت احب فتياتها اليها ، فتاة تدعى « آتثيس » .. وقد روت « سافو » — فى كثير من اشعارها — كيف تولد هذا الحب فى اعماقها فراحت تقاوم تدفقه الطاغى ، ثم .. « وكطفل يطير الى امه ، ها أنذى اطير اليك ! » وراحت تناجى الربة « افروديت » وتشكو اليها لوماتها واساها ، وتضرع اليها كى تعينها على تحقيق ما تصبو اليه نفسها .. ولم تقو الربة على ان تصم اذنيها دون هذا الدعاء ، فبثت فى قلب « آتثيس » الجراة والشعور بالثقة المفعمة بالبهجة فى الحب ، وبهذا تفتحت نفس الفتاة لتقبل حب « سافو » !.

وكان كلف « سافو » بصاحبتها أقوى بكثير من هيام أى رجل بامرأة ، كما أن الهوى الذى جمع بين « ســــافو » و « آتثيس » ـ بعد ذلك ـ كان اقوى من أى غرام بين ذكر وانثى ، فكأنما امتزجت الاثنتان فى كيان واحد شــطر الى جسدين !.. على أن الغيرة كانت تفرى فؤاد « سافو » أحيانا ، كلما ساورتها الهواجس ازاء علاقة « آتثيس » بأحد من البشر، ذكرا كان أو أنثى .. ثم ضرب الفراق بين الاثنتين ، اذ انتقلت « آتثيس » الى (ليديا) .. ولكنه لم ينل من وجد « سافو » وهيامها ، فكانت تنظم القصائد شوقا الى فتاتها .

وكان القدامى يزون فى علاقة ((سافو)) بتلميذاتها ، مقابلا للعلاقة التي كانت بين ((سقراط)) وتلاميــذه .. وفى تعلق « سافو » بالفتاة « آتثيس » ما يقابل علاقة الفيلسوف الكبير بتلميذه « ألسيبيادس » .. وكم كتب فلاســفة وادباء فى فى تحليل اوجه الشبه بين الفريقين . والواقع أن الحساسية المرهفة نحو الجمال لدى « سافو » و « سقراط » ، كانت الأساس الذي قامت عليه علاقات الهوى والوصال بين كل منهما والشباب من أبناء جنسه !

البغاء عن الاغريق

● **بالرغم** من صعوبة الحصول على مراجع وافية عن « البغاء » فى الحضارة الاغريقية القديمة ، فإن القدر الذى استطعنا التوصل اليه يبين بجلاء ان « البغـــاء » كان من الظواهر الجنسية الشائعة عند الإغريق ، **وأنه لم يكن يقتصر على ((بائعات الهوى)) اللائى يرتزقن ببيع أجسادهن ، بل كان يشمل الخليلات اللائي يعشن مع من يحببن حياة زوجية كاملة لا ينقصها سوى طقوس الزواج الشرعى ، و ((كاهنات**

فينوس » اللاتى كن يمارسن العلاقات الجنسية مع الرجال كلون من الطقوس التى تتطلبها عبادة الربة « فينوس » !

ومن هنــا تعـددت الألفــاظ التى كانت تطلق على « البغى » . كما ان الاغريق كانوا يتحاشون استعمال كلمة « البغي » أو « العاهر » على بائعات الهوى ، فكانوا يسمون ارقى طبقاتهن : « الرفيقات » أو « الانيسـات » .. وكان من الأسماء الشائعة لبائعة الهـوى : « المعبرة » ـ بكسر الميم وسكون العين ـ أي « المعدية » ، وهو اسم اقتبس عن عادة الغـواني في التسكع عند الجسـور لاصطياد العمـلاء !.. و « المرأة العامة » ، و « الجارية » ـ من الجرى ، لأنها كانت تؤدى مهمتها ثم تسـارع بالانصراف ـ و « أداة المخدع » ، اشـارة الى انهـا مجرد « أداة » للمتعة .. و « الذئبـة » و « النرد » ـ أو « زهر الطاولة » ـ تشبيها لها بالنرد الذى تتداوله ايدى الرجال فتهزه ثم تلقيه !

كانت لبيوت الهوى « تسعيرات » تفرضها الدولة !

● وكانت للبغـايا ـ اللاتى يتجرن في اجسـادهن ـ بيوت الهوى ، وفى هذه البيوت ، كانت أدنى طبقات البغـايا يستقبلن الرجـال . فكن يقفن فى مداخلها عاريات ، أو فى غلالات رقيقة شفافة ، حتى يتحن للزائر أن يختار من بينهن من توافق ميوله وذوقه .

وكان لدخول بيوت الهوى رسم زهيد ، يتباين فى فئاته وفقا لتباين البيوت . والى جانب هذا الرسم ، كان على الزائر أن يقـدم للبغى « هدية » ، بمثابة الأجـر . وكان صاحب البيت ـ أو صاحبته ـ يدفع من حصيـلة رسـم الدخول ضريبة سنوية للدولة ، اسمها « ضريبة البغاء » .. **كما ان الهدية ـ او « الاكرامية » ، كما كانت تسمى ـ التى**

يدفعها الزائر للفتــاة ، كانت محددة وفقا لـ ((تسعيرة)) خاصة .. اذ كانت بيوت البغاء ــ والبغايا انفسهن ــ تحت رقابة دقيقة من الدولة ، صونا للآداب العامة ، وللصحة .

وكانت معظم بيوت البغاء ــ فى المدن الساحلية ــ تتجمع فى الأحياء القريبة من الموانىء .. كما كانت تنتشر ــ بوجه عام ــ فى الأحياء التى كان يطلقون عليها اسم (سيراميكس) ، أو أحياء صناع الأوانى الفخــارية . فكانت تمتد فى شارع عريض ، يبدأ فى سوق الحى ، ويتجــــه شمالا حتى أبواب المدينة . وكثيرا ما كان هذا الشارع يخترق احد الأحياء ذات الصبغــة الدينية ، فلم يكن الاغريق يرون فى هــذا ما يمس قداسة الحى ، لأنهم كانوا يرون فى البغاء نظــاما اجتماعيــا يصرف الرجال عن محــاولة النيل من أعراض الفتيــات .. وبالتالى ، لم تكن زيارة بيوت البغاء أو أحياء الدعارة بالأمــر المســتهجن !

تعال ((فتيات الشوارع)) تطيع الدعوة للمفتونين !

● **ولم تكن** أحياء البغــاء تفتح أبوابها ((قبل الســاعة الرابعــة من بعــد الظهر ، وذلك((**لكى لا ينصرف الشباب عن الأعمال وممارسة الرياضة**)) . وفى تلك الأحياء ، لم تكن ثمة بيوت ــ على النســق الذى شرحناه ــ بل كانت هناك غرف تجلس أمامها البغايا فى أوضاع مثيرة . فاذا عرج زائر على احداهن ، دخلت معه غرفتها ، وأوصدت بابها ، بعد ان تعلق عليه لوحة تحمل كلمة ((مشغولة)) . وكان الزائر يدفع الأجر للفتاة مباشرة .

وعرف الاغريق طبقة اخرى من البغايا ، يطفن باماكن وشوارع معينة من المــدينة ، ليتصيدين العمــلاء .. وهى طبقــة لم تكن تحترف البغــاء احترافا كاملا ، وانما كانت

تمارسه كمهنة ثانوية .. وتقع هذه الطبقة ــ فى الترتيب ــ بين نزيلات بيوت البغاء ، وفتيات احياء الدعارة .

ومن طريف ما يروى عن فتيات الشوارع ، انهن كن يسرن فى احذية نقش على نعالها بالمسامير عبــارة : ((**اتبعني**)) !.. فكانت العبــارة تنطبع على الأرض غــير الحجرية ، فتلفت نظــر الســـائر خلفهــا وتنبهــه الى مهنتها !.. ويروى « السبياديس » ، انه شغل مرة بفتاة ، كانت تحيط خصرها بحزام كتب عليه : ((**حبني ، ولكن لا تغار اذا نالني غيرك من الرجال**)) !.. وكانت هذه الطبقة تتسكع عادة فى الشوارع الحافلة بالحركة ، أو المفضــية الى ارصــفة الميناء . وكن يصطحبن سيدهن الى الحجرات التى يقمن فيها ، او الى الاركان المظلمة والبقاع غير المطروقة من المدينة !.. .وربما اصطحبنهم الى الحمامات العامة ، أو الى فنــادق وحانات اعدت حجرات خاصة تؤجرها لهن !

((الأنيسات)) .. طبقة كانت موضع تقدير المجتمع !

● اما ((**الرفيقات**)) او « الأنيسات » فكن يشغلن مكانة مهمة فى الحيــاة الاغريقية . وكن ــ على نقيض الطبقــات الاخرى من البغايا ــ يستمتعن باحترام المجتمع . اذ كن يمتزن بذكاء وقاد ، وتعليم راق ، وبديهة ولباقة . اى انهن كن قديرات على ان يبهرن من يتولين الترفيه عنهم ، من علية القوم .. من قادة ، وسياسيين ، وادباء ، وفنانين . **وبهذا كن يجمعن بين الامتاع الذهنى والامتاع الجسدى . ومن ثم كان أمن الر ملحوظ فى حياة كثير من الشخصيات المبرزة فى التــاريخ الاغريقي .. وقد يمكن ان يقــال انهن كن أشــبه بسيدات ((الصالونات)) فى الحضارة الفرنسية ــ فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ــ وبفتيات ((الجيشيا)) فى اليابان ، الى حد ما !**

وكان للرفيقة منهن بيت خاص ، مؤثث بأفخم الرياش ، لا يخجل احد من دخوله .. بل ان تماثيل البعض منهن ، كانت توضع فى المعابد والبنايات العامة الى جوار تماثيل القادة والزعماء !.. ولعل ابرز دليل على قدرهن فى المجتمع الاغريقى . ان مهنتهن كانت أكثر رواجا وازدهارا ، فى المدن التى تجتذب الأجانب ، كالمدن التجارية والبحرية ، لا سيما (كورنثه) .. حتى لقد كان من الأمثال الشائعة : ((**الرحلة الى كورنثه لا تعود بالربح على رجل**)) !.. اذ كانت المتع التى يجدها الرجل هناك ، تشده اليها حتى ينفق كل أمواله ، فيرحل عائدا الى بلاده خالى الوفاض !.. فقد كانت (كورنثه) تزخر بالأنيسات ، وبالبغايا ؛ وبكاهنات معبد « ڤينوس » أو « أفروديت » ، اللائى كن يتجاوزن الألف عددا ، وكن يعرفن بـ « الكاهنات » أو « خادمات المعبد » .. وكانت أرض القلعة ــ وهى أقوى معقل فى المدينة ــ تضم معبد « أفروديت » ، وقد حفت به أسوار من الكتل الحجرية الكبيرة . ويراه القادمون ــ فى البحر ــ من مسافة بعيدة .. وقد أقام الأتراك ــ أثناء احتلالهم بلاد اليونان ــ مسجدا فوق موقعه !

اهداء الفتيات الى معبد ((افروديت)) !

● **ومن** طريف ما يؤثر ، أن « اكسينوفون » بن « تثيسالوس » ــ وكان من أغنى نبلاء (كورنثه) ، نذر للربة « أفروديت » أن يكرس مائة فتاة لخدمتها فى المعبد ، اذا هو فاز فى المباريات الأوليمبية ، فى سنة ٤٦٤ قبل الميلاد . وقد بر بوعده عندما فاز ، فنظم الشاعر « بيندار » ــ وكان من أعظم شعراء اليونان ــ قصيدة لم تلبث أن أصبحت أنشودة على كل لسان ، وقد جاء فيها :

« **أيتها المشتهيات المنشودات فى (كورنثه) الغنية** ،

يا أخلص الوفيات لـ ((بيبيثو)) — الغواية والاغراء — يا من ترسلن دموع العطر الذهبية ، وسحائب البخور فى تقـوى وخشوع ، وتتجهن بأرواحكن محلقات الى ((أفروديت)) أم الحب السماوية ، التى تكفل لكن — من السماء — الصفح الجميل والغفران العذب .. يا من تتضرعن ، كى ترتشفن رحيق فاكهة الشباب الغض ، فى مباهج الغرام .. لقد ساق ((اكسينوفون)) الى بستان الملكة القبرصية (أفروديت) مائة فتاة ، برا بوعده)) !

وفى مجتمع هذه نظرته الى البغاء ، كان من الطبيعى أن يزدهر الادب الذى يدور حول هـذه الظاهرة الاجتماعيـة الجنسية ، وحول « كاهنـات أفروديت » ، و « كاهنـات فينوس » .. والواقع أن الأدب الذى تناهى الينا — فى هذا المجال — زاخر ، متعدد الالوان .. وكم من مسرحية كوميدية ونسـجها مؤلفها لتصوير احدى هؤلاء الفـوانى ، أو لتقوم بتمثيل أهم دور فيها غانية ذات شهرة فى زمنها !

((تاييس)) عشيقة الاسكندر المقدونى

وزوجة بطليموس !

● ولعل التمثيلية التى وضعها « فريكراتيس » — تحت عنـوان « كوريانو » — من اطرف هـذه « الكوميديات » موضوعا .. اذ تدور حول أب وابن هاما معــا — وفى وقت واحد — بحب احدى الغانيات ، وراحا يتنافسان على التقرب اليها ، ويتصارعان على الحظوة لديها ..

ومن « الكوميديات » التى وضعت خصيصا لارضـاء غانية معينة ، وأطلق عليها اسم هذه الغانيـة : « ثالاتا » لديوقليس ، و « أوبورا » لألكسـيس ، و « فانيون » لميناندر .. وقد خلد « ميناندر » غانية أخرى فى مسرحية وصلته

الى العصر الحديث ، وأن تناولتها الأقلام بالتحوير والتعديل ، من جيل الى جيل .. تلك هى « تاييس » الأثينية ، التى كانت عشيقة الاسكندر الأكبر ، والتى كانت من أقدم الغوانى اللائى استغللن سلطان جمالهن فى المسائل السياسية .

ومما يروى عن تأثير « تاييس » على الاسكندر ، أنها صحبته فى معركة (جوجاميلا) ، التى انتصر فيها الفاتح الاغريقى على الفرس ، ودخل بابل غازيا ، واستولى بعدها على العاصمة الفارسية القديمة (برسيبوليس) .. وهناك أقام مأدبة هائلة ، احتفالا بالنصر ، أريقت فيها الخمور أنهارا ، وحضرها عدد كبير من الغوانى ، كانت « تاييس » أجملهن على الاطلاق .. **وعندما شعشعت الخمر فى الرؤوس ، وجرى الدم حاميا فى العروق ، صاحت « تاييس » فى الاسكندر أن الوقت قد حان ليتوج أمجاده باشعال النار فى القصر الملكى الفارسى ، انتقاما لما فعله الفرس بالمعابد والمقدسات الاغريقية فى (أكروبوليس) و (أثينا) فى عهد « اكزيركسيس »** .. وسرعان ما تحمس الجميع .. وعلى أنغام الموسيقى ، أشعلت النار فى القصر ، وكان الاسكندر صاحب أول مشعل ألقى فى القصر ، وكانت « تاييس » صاحبة المشعل الثانى !

ولقد ارتفعت « تاييس » ــ بعد موت الاسكندر ــ الى مكانة الملكة ، اذ تزوجت من بطليموس الأول ، الذى آل اليه حكم مصر .

عشيقة الملك تترك آثارها على ذراعيه !

● ومن أشهر « الأنيسات » الاغريقيات « لاميا » الأثينية ، التى كانت عازفة قيثارة ، وراعية للفنون ، فى عهد « ديمتريوس بوليوكريتس » . وقد اكتسبت شهرة وثروة طائلة ، حتى أنها أعادت تشييد معرض الصور فى (سيسيون)

ـ على عشرة اميال الى الغرب من (كورنثه) ، بعد تدميره ..
ويروى « بلوتارخ » أن « ديمتريوس » أوفد مرة فريقا من السفراء لمفاوضة حاكم كان على شقاق معه . وبعد أن انتهت المفاوضات السياسية ، لاحظ السفراء على ذراعي الحاكم وساقيه آثار جروح وندوب . فلما سألوه عن سببها ، قال انها عضات اسد اضطر الى ان يصارعه يوما .. وهنا ضحك السفراء وقالوا ان ملكهم كان يحمل آثارا وندوبا كهذه ، من وحش خطير ، يدعى « لاميا » !.. وكانوا يقصدون الغانية ، عشيقة الملك !

وفى التاريخ الاغريقى « انيستان » تحملان اسم « لائيس » . كانتا من أشهر الغوانى .. وكانت كبراهما تعيش فى (كورنثه) أيام حرب (البلوبونيز) ، وقد عرفت بجمال باهر . وجشع لا يفتر . وكان كثير من كبار الاغريقيين يتهالكون على بابها !.. أما « لائيس » الصغرى ، فقد ولدت فى (صقلية) ، وكانت ابنة « تيماندرا » صديق « السبياديس » . وقد تنافس على حبها اشهر الشعراء والفنانين . ولقيت مصرعها قتيلة بأيدى الحاقدات عليها لجمالها !

تمثال لغانية وسط تماثيل الأبطال والملوك

● وبين تمثالي الملك « ارشيداموس » والبطل « فيليبوس » ـ فى (دلفى) ـ اقام الاغريق تمثالا للغانية « فيرنى » ، دون أن يجدوا فى ذلك آية غضاضة . وقد روينا ـ فى الحديث من صدور النساء ـ كيف أن جمال صدر « فيرنى » أنقذها من الاعدام ، أثناء محاكمتها .

وقد ولدت « فيرنى » فى مدينة (طيبة) اليونانية ، وكانت مثالا للجمال الكامل ، وقد اعتادت أن تستر هذا الجمال تحت اثواب سميكة لا تكشف حسنه . ولم تكن

تتردد على الحمامات العامة ، كما أن رؤيتها عارية كانت من أندر الأمور . ويروى أنها لم تكن تتعرى الا فى الاحتفال بعيد « بوسيدون » . **فاذا ما اشتد تزاحم الاغريق ـ الوافدين من كافة ارجاء اليونان ـ على شاطىء البحر ، نضت ((فيرنى)) عنها ثيابها ، وسرحت جدائل شعرها ، ثم وقفت لحظات ليتأملها القوم عارية ، وقفزت بعد ذلك الى البحر .. وقد أوحى هـذا المنظـر الى ((آبيليس)) بتحفتـه الخالدة : ((أفروديت تبرز من البحر)) !**

وكان صانع التماثيل « براكسيتيلس » مشغوفا بها ، وقد استوحى جمالها كثيرا من تحفه . وكثيرا ما حاولت أن تسأله عن اجمل أعماله ؛ ولكنـه كان يراوغهـا ، الى أن كان معها ـ ذات يوم ـ ودخل خادم لينهى اليه أن النار شبت فى « الاستوديو » ؛ فقفز « براكسيتيلس » مذعورا ، وصاح : « اذا لم تكن النـــار قد أتت على تمثـــالى « ســـاتير » و « ايروس » ، فالخسارة طفيفة ! » .. واذ ذاك ، ابتسمت « فيرنى » واخبرته بأن النبأ كاذب ، وانها كانت حيلة منها لتعـرف ابدع آثاره . وكان جزاؤها أن أهداها تمثـــال « ايروس » ، فأهدته بدورها لمعبد « ايروس » ، وقدر له أن يصبح من أهم المعالم التى كانت تجتذب الناس الى زيارة (طيبة) زهاء قرن من الزمن !

ولم يكن التمثال كل ما قدمتـــه هذه الغانيـــة لمسقط رأسها .. بل انها انفقت على اعادة بناء أسوار المدينة ، بعد أن كان الاسكندر الأكبر قد هدمها . فكافأها القوم على ذلك بأن نقشوا على الأسوار : **((هدمها الاسكندر وأعادت بناءها الغانية فيرنى))** !.. كما عهدوا الى « براكسيتيلس » بصنع تمثال لها موشى بالذهب ، هو الذى أقاموه بين تمثالى الملك والبطل !

السياسي الذي طلق زوجته ليتزوج غانية !

● من هذا نرى أن الغواني لم يكن مفتقرات الى الذكاء والباقة والمشاعر النبيلة .. ولعل أشهرهن - في هذا المضمار - هي « اسباسيا » التي فتنت « بركليس » ، وكان سياسيا ورجل حكم واسع الشهرة ، عظيم المكانة ، كما كان زوجا وابا ، في حين أنها لم تكن سوى .. غانية !

ولقد استطاعت ((اسباسيا)) بجمالها ، وبراعتها ان ترقى الى مكانة كبيرة ، فكانت تجمع في بيتها علية القوم في زمنها ، ومنهم ((سقراط)) .. ولقد بلغ الافتتان ببركليس أن طلق زوجته ، ليتزوج من ((اسباسيا)) . وسرعان ما اكتسبت نفوذا سياسيا ، حتى ليعزو اليها ((بلوتارخ)) أنها التى حرضت على قيام الحرب بين (أثينا) و (ساموس) ..

واتاح تدخلها في الشئون السياسية مادة لمعارضي «بركليس» ، كما أثار استهجانا لدى الشعب ، لا سيما أن الغانية لم تكن من بنات (أثينا) ، وانما ولدت في (ميليتوس) ، كما أن زواجها من « بركليس » - بعد طلاقه من زوجته - لم يكن يتيح لها مكانة الزوجة ، بل كان يجعلها بمثابة المحظية ، أو زوجة « من الدرجة الثانيــة » !.. **ومن ثم اشتدت عليها الحملات ، حتى لقد قيل انها كانت تتصيد النساء لزوجها .. وقال السياسي ((اثينايوس)) انها كانت تمتلك بيتا للدعارة .. وتبارى الشعراء في وضع ((الكوميديات)) عنها !**

ومن الطبيعي أن مهنة « الرفيقات » أو « الأنيسات » أو الغواني ، كانت تتطلب عناية فائقة بالجمال ، وبراعة في اخفاء آثار السنين على البشرة ومعالم الجسم .. وكانت - الى جانب ذلك - تتطلب دراية واسعة بأساليب السلوك ، وبنواحي الضعف في الرجال . ولم يكن الوفاء من الفضائل التي يجب أن يتزودن بها ، بل انهن كن يتلقين - منذ بداية

شأنهن ــ ان الوفاء لا يمكن أن يكون سلما يرقى الى المكانة المنشودة ، وان الكذب يجب أن يكون فنا يمارس ببراعة ، وان الحشمة والحياء ليسا من صفات الغوانى !

ام تعد ابنتها لمهنة البغاء !

● وفى « حوار الغوانى » ، نجد مناقشة طريفة بين أم وابنتها . . كانت الأم قد فقدت زوجها قبل عامين ، واضطرت الى معاناة الشظف ، ثم لم تجد بدا من أن تدفع ابنتها الى البغاء . .

كروبيل (الام) : وهكذا ترين ، أن التحول الى امرأة ــ بدلا من عذراء ــ ليس بالأمر الفظيع ، كما كنت تخالين . . فقد كنت مع سيد لطيف ، أهداك نقودا ، وسأبتاع لك بجزء منها قلادة . . **وعليك ان تتعلمى كيف تعاملين الرجال ، فليس لنا مورد آخر للقوت .. لقد عانيت الكثير ــ خلال العامين ــ للحصول على غذاء لنا ، ورحت اربيك وارتقب بصبر وامل ..** كنت أوقن من أنك حين تصلين الى سن البلوغ ستعولينني ، وستثبتين قدميك وتصبحين غنية . .

كورينا (الابنة) : عم تتكلمين يا أماه ؟ . . ماذا تعنين ؟

كروبيل : اذا خرجت مع الرجال ، فاشربى ونامى معهم ، من أجل النقود !

كورينا : على غرار « ليرا » ، ابنة « دافنيس » ؟ . . ولكنها عاهرة !

كروبيل : ليس هذا بالشيء البغيض ، فانك ستصبحين غنية مثلها ، وسيكون لك عشاق كثيرون . **ما الذى يبكيك ؟ .. ألا ترين كثرة العاهرات ، ومدى تهافت الرجال عليهن ، وما يجمعن من مال ؟..** لقد كانت « ليرا » فى أسمال ، وها أنتذى ترين ما أصبح لديها من ذهب ، وثياب مطرزة ، وأربع خادمات . لقد أحسنت التصرف مع الرجال وأرضت

الجميــع .. لم تكن تنفجر بالضحك لاتفه الأســباب كمــا تفعلين ، بل كانت تبتسم بطريقة عذبة جذابة . ثم انها عاشرت الرجال بحكمــة ، فما خدعت واحداً ممن كانوا ياتونها أو يطلبونها ، ولا تعلقت بأحــد منهم ، في الوقت ذاته . واذا ما ذهبت للعشاء مع احد ـ بعد أن يقدم لها هبة بسيطة ـ فانهــا لا تسرف في الشراب ، لان الرجال يكرهون النســاء اللاتي يخرجهن الشراب عن الوعي .. ولا تملأ بطنها بنهم ، بل تمس الأكل مسا باطراف اناملها ، وتمضغ في سكون دون أن تحشــو شــدقيها ، وتشرب في تؤدة ودون افراط .. ولا تنطق بأكثر مما تدعو الضرورة لقوله ، ولا تضحك من أحد من الحضور ، بل تقصر نظراتها على الرجل الذى استأجرها .. واذا حان أن ترافقــه الى المخــدع ، تجنبت كل نزق وتبذل ، وجعلت كل همها أن تأسره وتجعله عشيقاً لها .. فاذا تعلمت أنت كل هذا ، فاننا سنعيش في هناء !

وفي حديث الأم ، نجــد كل قواعد الســلوك التي كان المجتمع الاغريقي يتطلبها من الغانية ..

هكذا اصبح الجنس من الطقوس الدينية !

● كان من العادات المتبعة في (كورنثه) ـ منــذ أقــدم العصور ـ ان القوم اذا سعوا الى معبد « افروديت » في موكب كبير ، ليرفعوا اليها الصلوات ، ساقوا معهم أكبر عدد ممكن من الغواني . اذ كانت ممارسة الجنس من الطقوس ، لا سيما عنــد تقديم القرابين .. ويقــول بعض المؤرخين القدامى ، ان هذه العادة ترجع الى ايام أن غزا الفرس بلاد اليونان ، فاتجهت جموعهم الى معبد « افروديت » ، كمــا سعت الغواني الى هنــاك ، ورحن يصلين من اجل خلاص الوطن من أعدائه . وقد اقام اهل (كورنثه) في المعبد لوحــة كبيرة ، نقشت عليها اسماء جميع الغانيات اللاتي اشتركن في

هذه المناسبة ، وجاء فيها : ((هؤلاء الغانيات قد اتحدن فى صلاة صادقة الى الربة القبرصية ، من اجل الاغريق وأبطالهم الشجعان ، ومن ثم لم تشأ أفروديت المقدسة أن تسلم (الاكروبول) الاغريقى للفرس)) .. وأصبح من المعتاد ــ بعد ذلك ــ أن ينذر المرء عددا من العاهرات للمعبد ، اذا أراد التقرب الى ((أفروديت)) !

ومن الواضح هنا أن البغاء ــ فى المعبد ــ كان ذا طابع دينى . ولم يقتصر هذا ((البغاء الدينى)) على معبد ((أفروديت)) فى قبرص ، بل انه كان شائعا فى كافة معابد هذه الربة فى بلاد اليونان . **ولقد كرس معبد (أبيدوس) الى ((أفروديت)) ، بعد أن استطاعت احدى الغانيات ــ عندما احتل الأجانب (أبيدوس) مرة ــ أن تسكر حراس العدو بالحب والخمر ، وأن تسرق منهم مفاتيح القلعة وتسلمها الى المجاهدين ، الذين هاجموا الحراس وهم سكارى ، واستولوا على القلعة وحرروا المدينة .**

ولقد كان البغاء الدينى معروفا ــ قبل ذلك ــ فى بابل ، وفى معبد ((أفروديت)) بعد ذلك ، فى مدينة (بيبلوس) ، وهى مدينة فينيقية كانت تقوم فى موقع ((جبيل)) الحالية . على أن ((هيرودوت)) يقول ان هذا النوع من البغاء لم يعد موجودا هناك ، فى أيامه . وفى الوقت ذاته ، ذكر أن العذارى ــ فى (ليديا) ــ كن يمارسن البغاء ليجمعن ((دوطة)) يتوسلن بها الى الزواج !.. وأنه ((من أشنع القوانين المرعية فى بابل ، أنه ما من امرأة الا ويجب أن تجلس فى رحاب أو جوار معبد ((افروديت)) ، وتضاجع رجلا غريبا عنها ، ولو مرة واحدة فى حياتها .. واذا جلست امرأة عند المعبد ، فليس لها أن تعود الى بيتها الا بعد أن يلقى رجل غريب بقطعة ذهبية فى حجرها ، ثم يجامعها خارج جدران المعبد .. واذا ألقى رجل قطعة ذهبية فى حجر امرأة ، فليس لها أن

ترفض مضاجعته ، والا كان رفضها اهانة للربة !.. فاذا فرغت من العملية ، أصبحت المراة مباركة ، ولم يعد لأى غريب ان يشتريها ، مهما يكن ما يقدمه لها » !

فلسفة « بغاء المعبد » عند الاغريق

● ولكى نفهم تقليد « بغاء المعبد » عند الاغريق ، نذكر انه يقوم على فكرة ان « افروديت » لا تكتفى بأن تمنح بهجة الحب ، وانما هى تأمر الاناث جميعا بان يساهمن فى تحقيقها . واذا كسبت الفتاة صداقها من البغاء عند المعبد ، فان زواجها يكون مباركا . **أما اذا وهبت الفتاة نفسها نهائيا للبغاء وأسلمت مكاسبها لصندوق المعبد ، فان هذا يكون منها نوعا من التقوى التى تقربها الى الربة مانحة الجمال والنضوج والخصوبة للاناث** .. وفى فترات كثيرة ــ من تاريخ الاغريق ــ كانت الفتاة التى تمنح نفسها لزوجها قبل الزواج ــ وفى رحاب المعبد ــ أعز مكانة من تلك التى تحمل بكارتها معها الى بيت الزوجية !

وكانت الفتيات اللائى يكرسن أنفسهن للبغاء فى المعبد ، لا يقتصرن على ممارسة الاتصال الجنسى مع الرجال ، بل كن يضفين بهجة وتألقا على أعياد الربة ، بالرقص والغناء وعزف الموسيقى ..

وكان هذا هو الشان فى البغاء العادى ــ عند الاغريق القدامى ــ كذلك . فان البغى لم تكن تكسب عيشها فقط بتكريس نفسها لارضاء رغبات الرجال ، بل كانت بعملها تساهم فى تكريم الجمال .. ولكى نفهم هذا ، **يجب ان ندرك أن الحضارة الاغريقية لم تكن ترى فى البغاء منكرا ، بل ان بعض من كانوا موضع تكريم الراى العام ــ مثل « تيموستوكليس » ــ كانوا أولاد بغايا ، ولم ينل هذا من سمعتهم او مكانتهم !.. وكان للفيلسوف « ارسطوطاليس »**

ابن من بغى تدعى ((هربيليس)) ، ظلَّ يحبها حتى نهـــاية حياته . وكان ((افلاطون)) مدلها فى هوى ((أركيانانسا)) ، وهى من أجمل غوانى (كولوفون) . وقد أوردنا من قبل نبأ غرام « بريكليس » بالبغى « اسباسيا » وزواجه منها . وقد كانت لهذه البغى علاقة كذلك بالفيلسوف « سقراط » .

يضاف الى ذلك ، أن القوم لم يكونوا يجدون حرجا فى أن يسجلوا « أمجـــاد ! » البغى على قبرها .. ويقـــول « ديكاياركوس » فى كتابه « الهبوط الى كهف تروفونيوس » :

« يرى المسافر الوافد على أثينـــا ـ من ايليوسيس ـ بالطريق المعروفة بالطريق المقدسة ، منظرا عجبا .. فعندما يصل الى الموقع الذى يتراءى له عنده ـ لأول مرة ـ معبد أثينا ، وتتكشف المدينة أمامه ، يرى فى الطريق ضريحا سامقا يعلو على كل ما يحيط به . **وسيظن المســـافر ـ فى بادىء الأمر ـ أنه ضريح أحد عظماء أثينا ، وسيعتقد أنه أنشىء على نفقة الدولة .. فماذا يكون شـعوره ، اذا ما علم أنه ضريح عاهرة تسمى بايثيونيكه ؟))**

وكانت هذه البغى فاتنة حاكم بابل ، أيام الاســكندر المقدونى . وقد انتهز الحاكم ـ وكان يدعى « هارباليوس » ـ انشغال الاسكندر فى فتوحاته ، وحمل معه ذهبا كثيرا من بابل ، وهرب الى (أثينا) ، وراح ينفقه على فاتنته .. وبعد موتها ، أقام لها هذا الضريح !

عشق الذكور عند الاغريق

● **أكثر** الكلمات شــيوعا ، فى تسمية هذا النـــوع من العـــلاقات التى تنشـــأ بين ذكر وآخر من جنســـه ، هى Paederasty . ولو أننا رجعنا الى الأصـــل اليونانى الذى اشتقت منه هذه الكلمة ، لوجدناها مؤلفة من كلمتين ((حب))

و « فتى » .. والحب هنا بمعناه الشامل ، أى الروح والحس . أما الاشتهاء الجنسي لدى ذكر لذكر آخر ، فكان يسمى Paedomanic . والتعبيرات الغالبة التي تصادفنا ـ فيما خلفه الاغريق ـ توحي بأن « حب الفتيان » كان ينطوى على حب كل ما هو جميل في « الفتى » من ميزات عقلية وبدنية ، ومن ثم فان الاشتهاء ـ أو الحب الجنسي ـ لم يكن هو الغالب .. وكان الحب يتضمن أن ينفث المحب في محبوبه ما يود تلقينه اياه من معرفة وقيم ومبادىء . وفي هذا يقول اكسينوفون : « اننا اذ ننفث حبنا في الغلمان الملاح ، انما ننأى بهم عن الجشع والبخل ، ونضاعف حبهم للعمل ولمغالبة الصعاب وخوض المخاطر ، ونعزز تواضعهم ومقدرتهم على ضبط النفس » !

لا بد من النضوج الجنسي للمحبوب !

● وليس معنى هذا أنه لم يكن للحب الجنسي وجود .. ومن المهم أن نذكر دائما ـ ونحن نستعرض هذا الموضوع ـ أن « المحبوب » أو « الحمل » ، كما كانوا يطلقون عليه ، لم يكن قط في سن الطراوة ونعومة الأظافر ، وانما كان دائما من ذوى النضوج الجنسي ، الذين وصلوا الى مرحلة البلوغ . ويجب أن نذكر ـ بجانب هذا ـ أن اليونان تقع في المنطقة التي تتيقظ فيها المشاعر الجنسية مبكرة ، وهذه المنطقة تضم : اليونان ، واسبانيا ، وايطاليا ، وجنوب فرنسا ، والشرق الأوسط ، وشمال افريقيا . ومن ثم فان الفتى غالبا ما يكون في أوائل أو وسط العقد الثاني من العمر . ولهذا ، فان الحب الجنسي وممارسة الجنس مع أولاد دون البلوغ ، كان موضع استنكار وعقاب .

ولقد وصف « هوميروس » في « الأوديسة » كيف أن « أوديسيوس » ارتاد جزيرة (سيرس) وأوغل فيها ، فاذا

به يلتقى بالرب « هيرمز » ـ دون أن يعرفه طبعا ـ فى صورة فتى « وقد نبتت فى ذقنه بوادر اللحية ، فزادت سحر صباه حسنا » .

ويشير « أفلاطون » الى عبارة « هوميروس » هذه ، فى بداية كتابه « بروتاجوراس » ، اذ يقول : « من اين أنت آت يا سقراط ؟.. وان كنت فى غير حاجة للسؤال ، لأننى أعرف أنك كنت تطارد « ألسبيادیس » المليح . لقد رأيته أول امس ، وقد أوتى لحية .. ولى إن أهمس فى أذنك بأنه رجل ، ومع ذلك فقد خيل الى أنه لا يزال جد فاتن !

« **سقراط** : وما بال لحيته ؟.. ألست من رأى هوميروس ، الذى يقول أن « الصبا يغدو أعظم فتنة ، عندما تبدو بوادر اللحية » ؟.. وهذا هو مبعث سحر السبيادیس الآن ! »

ويقول ستراتون : « لكم يطربنى ازدهار الصبا فى ابن الثانية عشرة ، ولكن ابن الثالثة عشرة مرغوب أكثر منه . ويظل ابن الرابعة عشرة نبعا دافقا لأنواع الحب ، وان كان ابن الخامسة عشرة أكثر سحرا . أما ابن السادسة عشرة ، فهو مشتهى الأرباب ، ولست أرغب فى ابن السابعة عشرة ، وان كان هو هوى الرب « زيوس » وحده . أما اذا تاق المرء الى من هو فوق هذه السن ، فان الحب هنا لن يكون مجرد عبث ، بل هو يتطلب استجابة ، وأخذ وعطاء » !

حب الفتيان مظهر لامتياز الرجل على المرأة

● ولا بد من أن نضع نصب أعيننا ـ فى هذا الجزء من البحث ـ ان الثقافة الاغريقية القديمة كانت تقوم أصلا على الذكر . أما الأنثى فكانت كل مهمتها انجاب الأطفال وتدبير البيت . وبالتالى ، **كان الرجل هو مركز الحياة الفكرية . لهذا كانت العناية الأولى موجهة الى تربية الولد وتعليمه .**

وكانت من اغرب عاداتهم ان يجتذب الرجل اليه غلاما أو فتى يرافقه في حيـــاته اليومية ، ويكون له ناصحا ، وموجها ، وراعيا ، وصديقا يدفعه الى فضائل الرجال .. وقد بلغ من تأصل هذه العـــادة في نفوسهم ، ان انصراف اي رجل عن رعاية ولد كان يعتبر انتهاكا للواجب ، وان انصراف اي ولد عن شرف صداقة رجل كان يعتبر عارا !

وكانت رعاية الرجل الولد تتجه الى فهم عقله ونفسه ، والى تنشئته جسميا وعقليا وروحيا على أكمل وجه .. وكان الكمال في الذكر يتمثل في أن يكون ((طيبا وجميلا)) وان يكون جماله شاملا للجسد والعقـــل والنفس . وكان الاهتمام بجمال الجسم يجعل الاغريقي يقضي ثلاثة أرباع نهـــاره في الملاعب الرياضية ، يمارس التمرين عاريا ..

ويحفـــل التراث الأدبي الاغريقي بالأحاديث عن المتعـــة الجمالية التي كانت عين الاغريقي تستمتع بها بتأمل جمال الفتيان .. وكان الشعراء يتغنون بهذا الجمال ويمجدونه ، كما ان الفنانين كانوا يرون في جمـــال الذكور تجسيدا لكل جمـــال دنيوي على ســـطح الأرض .. وكانت أسماء ابرع الفتيان جمالا تكتب على بعض التحف الفنية ــ كأوعيـــة الزهور ــ من قبيل الزخرفة والتمجيد معا .

وكانت العينان أبرز معـــالم الجمال في الذكور ، لدى قدماء الاغريق ، وكم تغنى الشعراء بسحرهما وفتنتهما .. وتليهما الوجنتان ، اللتان قال الشـــــاعر « فرينيكوس » في وصفهما : « يشـــــع على وجنتيه وهج الحب » ، وقال سوفوكليس : « ان ايروس يســـــهر على صون الخـــــدود الناعمة » .. ويأتي شعر الفتى في المرتبة التالية . ويروى عن « بوليكريتس » ــ حاكم (ساموس) ــ أنه لم يكن يمل النظر الى جدائل شـــعر « سميرديس » الفتى الجميل الذي

اصطفاه لنفسه .. ولكنه فى نوبة من الغضب والغيرة ، امر بقص الشعر الجميل ، حين رأى الفتى يغتر به !

بغاء الذكور لا يقل رواجا عن بغاء الاناث

● والرأى القديم فى الحب ، هو انه « النزوع لكل ما هو جميل » .. واذا كنا قد أبرزنا هـذا على ما سواه ـ حتى الآن ـ فليس معناه ان حب الاغريق للذكور كان منزها عن كل ميل حسى او نزعة جنسية . **بل ان منهم من كان يرى فى العلاقة الجنسية تنمية للحب وزيادة فى اثراء العاطفـة . كما ان الايناس والمنادمة يتخللان فى العلاقة بين ذكر وذكر .** ومن ثم فان حب الاغريق للغلمان والفتيان يبـــدو للرجل الحديث اشبه بلغز غير واضح .. ولكن الواضح أن انعكاس هذا الحب على الأدب الاغريقى ، جعله من دعامات ثقـافة القوم ، ومن الوجوه التى تتبدى بها حضارتهم .

وفى كل الأزمان والأقوام ، نجد أن من الحب ما يمكن شراؤه بالمال . ومن ثم فان حب الاغريق للذكور لم يشذ عن هذه القاعدة ، حتى لقد شهدت الحضارة الاغريقية « بغاء » بين الذكور ، لم يكن أقل شأنا من دعارة النساء . **وكان بغاء الذكور متفشيا فى (أثينا) ، حتى ان ((سولون)) ـ الفيلسوف والشاعر والسياسى الكبير ـ حرم اللواطة على العبيد ، لأن فى ممارستها مظهرا من أبرز مظاهر ((حرية الارادة)) .. وضمن تشريعه ـ فى الوقت ذاته ـ عقابا لمن يتخذون من جمالهم تجارة وحرفة .. بل انه اعتبر ان ((من يبيع جسمه لقاء مال ، يفرط بنفس الاستهتار فى مصالح الدولة)) !**

وبوجه عام ، فان عشق الذكور كان مبـــاحا فى اغلب الأوقات ـ عند الاغريق ـ اذا قام على « الميل المتبادل » بين ذكرين .. ولكنهم كانوا يستنكرونه اذا قام على أساس البيع

الشراء .. ومع ذلك ، فكم حفلت القصائد ـ التى خلفها شعراء قدامى ـ بالشكوى من جشـــع « صبيانهم » ، ومن سمهم الى المال .

ومن ناحية اخرى ، لم يكن مما يعاب ان يتهافت الغلمان الفتيان على الرجال الذين يبرزون بين اقرانهم ، كابطال الرياضة ، والشعراء ، وذوى المال والملاحة ..

غلمان يؤجرون للرجال بموجب عقود !

● وكذلك لم يحـــل استنكار الحب القائم على المال ، دون أن يكون هناك غلمان يباعون ، أو يؤجرون ـ بعقــود ايجار تتفاوت آجالها ـ لمن يهوون جمال الذكور من الرجال .. كما كانت فى (اثينا) وبعض المدن الساحلية ، دور للبغاء يعمرها الذكور ، كدور العاهرات تماما . على أن أكثر سكان هــذه الدور كانوا من أسرى الحــرب .. ومن ابرز هؤلاء « فيدو » الذى وقع أسيرا فى أيدى أهل (اسبارطه) فى حربهم مع اهل (ايليس) ، فباعوه للأثينيين الذين أودعوه دارا للدعارة ، حتى أغرى سقراط احد اتباعه بأن يشتريه !

وبرغم كل هذه الحقائق ، فان الناحيـــة الجمالية كانت اكثر غلبـة على الناحيـــة الحسية ، فى عشق الذكور لدى الاغريق .. وكان الاساس فى علاقة الرجل بصبى او فتى ، هو تربية هذا الصغير ليحرز الفضائل التي يجب ان تتوفر فى الرجل .. وكان العاشق مسئولا عن فتاه ، حتى ان بعض المدن الاغريقية كانت تعاقب العاشق ، اذا صرخ فتاه اثنــاء القتال مع اى عدو !.

ونستخلص من كل ما قيل فى هذا الموضوع ، أن حب الغلمان كان شائعا عند الاغريق ، وكان اصلا يقوم على أسس دينية وجمالية . وكانت غايته هي الوصول الى المقدرة على

احراز الفضائل الشخصية والاجتماعية . ولم يكن عشق الغلمان يتعارض مع الزواج ، بل كان مكملا له ، كعامل مهم في التربية والتعليم .. وكان القوم يعتقدون أنه أبقى أنواع الحب ، وانه يدوم حتى بعد الموت .. وكان - في كثير من الأحيان - يخلو من العلاقة الجنسية ، ويتخذ شكل الصداقة الأثيره ، وان كان عشق الغلمان - بمعناه الجنسي - يصادفنا في الحضارة الاغريقية منذ أقدم عهودها .

ختام البحث

الجسر المعلق (بقية ص ٧٦)

استطاعت - فأل حسن يبشر المهاجرين بأنهم خليقون بأن يبلغوا (يين دا) ، دون ما خسارة !

ولكن القنابل عادت تستأنف انهمارها فجأة ، وقد ازدادت قربا .. وقبل أن يجد أحد فرصة للانبطاح على الأرض ، انفجرت قنبلة كبيرة وسط الجموع المتزاحمة أمام الجسر .. وفي غمرة الاضطراب الجنوني ، أخذ الكثيرون يلقون بأنفسهم في مجرى الماء .. بينما تدافعت أعداد كبيرة الى الجسر ..

والتفتت السيدة - وقد بلغت منتصف الجسر - خلفها ، وقد شل الذعر حراكها .. وتشبثت مستميتة بسياج الجسر الذي راح يتارجح في عنف تحت تدافع القادمين .. وفجأة ، مالت احدى السلتين بانحراف شديد ، فاختل توازن العصا على كتف السيدة ، وسقطت مع السلتين الى الماء ..

وضاع صراخ الأم في غمرة صخب الناس ، ودوي القنابل !



ترجمة : جورج عزيز

صورة من جهاد الشعب البلغارى

هذه القصة تنقل لنـــا صفحة من صفحات حرب من الحروب العديدة التى اضطرت (بلغاريا) الى خوضها ، بعد استقلالها ، فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين .. صفحة مجيدة من صفحات الجهاد القومى ، ولكنها — فى الوقت ذاته — مأســـاة انسانية حافلة بالمشاعر والانفعالات المثيرة ..

والقصـــــة من أروع ما كتب « ايفان فازوف » ، الذى يعـــده البلغاريون « شيخ الادب البلغــــارى » ، والذى أطلق عليــه كاتب روسيا الخالد « مكسيم جوركى » لقب : « شاعر البعث البلغــارى المناضل » ، اذ عكست اعماله عقلية ونضـــــال دعاة التحرر الوطنى والثوار ، وقد نظم عددا كبيرا من القصائد ، ضمتها دواوين : « الراية والربابة » ، و « مصائب بلغاريا » ، و « الخلاص » ، و « ملحمـــــة المنسيين » ، و « امرأة من زاجورا » .. كما كتب كثيرا من القصص والروايات ، أشـــهرها : « جوابو الآفاق » ، و « رجال التربة » ، و « الثوار » ، و « تحت النير » .. وهذه الرواية الاخيرة أذاعت صيته فى أرجاء العالم .. وقد ترجم كثير من انتـــاجه الى لغــات عديدة ، كما تعد قصائده واغانيه من تراث بلغاريا الثقافى .

وفى سبيل اداء رسالتـــه القومية ، خاض « فازوف » اغلب ميادين الادب ، فهو رائد القصة البلغارية القصيرة ، ورائد الرواية التاريخية ، واول شعراء الوطنية .

● ياله من ضباب !! .. ضباب كثيف خيم على قــرية (فيترين) فى ذلك الخريف . كان الجو رطبا نديا ، بعــد أن تساقط مطر خفيف ، وبدت السماء كأنها ذابت واستحالت الى بخار بارد ، اشتدت وطأته على البيوت المنخفضة فى القرية .. بيد أن كل شيء كان قائما على قدم وســاق فى الشــارع

الوحل : طنين اصوات عالية ، وتيار مستمر من جماهير المارة، وعربات ركوب تجرها جيـاد قصيرة حزينة ، وعربات تقل محملة بالذخيرة تجرها الثيران ، ومواش تسد الشـارع بين الفندقين الصغيرين ، اللذين هما أقرب الى النوع الذى يطلق عليه « الخان » .

وفى وسط هـذا الخليط ، شقت وحـدة من المجنـدين طريقها .. كان عدد قليل من افرادها يرتدى معاطف الجنود ، وآخرون يتدثرون بمعاطف من جلد الغنم المقلوب ظهرا لبطن ليكون الفراء الى الخارج . اما أكثرهم كانوا ملتحفين ببطاطين رثة بالية صنعوا منها ما يشبه « الحرامل » ، ونعالهم مبتلة ، وكلهم مثقلون باحزمـة الرصاص .. بينما كانت بنادقهم ــ التى تزينها غصون شجر (البقس) ــ تطل من فوق مناكبهم .. وكانت اجسامهم توشك أن تتجمد ، بينما أقدامهم تغوص فى الطين حتى الركبة ، والعاصفة تقذف وجوههم بحبـات البرد المتساقطة . لكنهم ــ رغم ذلك كله ــ كانوا يغنون .. وكانت أغانيهم تعبر عما فى صدورهم من مشاعر وآمال !

● ●

● وعند باب أحد الفندقين وقفت جمـاعة من الضباط والمسافرين ، ومن حولهم بعض القرويين يتفرسـون ــ فى دهشة وفضول ــ فى وجوه أولئك الذين بلل المطر ثيابهم .. وامام الفندق أو « الخان » الآخر ، وقفت جماعات متفرقة من السيدات والفتيات والصبية : كانوا جميعا متدثرين بالحرامل يرتجفون ، وقد احمـرت وجوههم من قسوة البرد . وقد احتشدوا فى هذا المكان ليستقبلوا ويودعوا الجنود المجندين المخضرمين الذين كانوا يمرون ، ضمن الفصيلة القـادمة من (هرمانلى) ، حيث كانوا قد ذهبوا لمحاربة الاتراك . وكان عليهم ان يتجهوا بسرعة الى (صوفيـا) ، ومن هنـاك الى ميدان القتال لمحاربة الصرب .

.. وسمعت صيحات بين جماعات الواقفين :
ـ ها هو ذا ابن « جورجي » !.. نتمنى لك حظا سعيدا يا « تشغيتكو » .
ـ أوه !.. انظروا هناك .. انه « رانجيل » !
ـ أوه !... وهذا هو ابن « نيديلكا » أيضا !.. انظر يا « ايفان » ، ان أمك هنا .
وفى لهفة وسرعة قدمت باقات الزهور ، بينما كانت الدموع تبلل الخدود والألفاظ تنبعث من الأفواه غير مكتملة .. وظل الجنود فى سيرهم ماضين .
وصاحت فتاة صغيرة شقراء متوردة الخدين ، تضع وشاحا زاهى الألوان : « أماه .. هو ذا أخى ! » .. وهتف أخوها الصغير الذى يناهز الثامنة ، وهو واقف الى جوارها مادا ذراعيه الى أحد الجنود : « أخى سنويان ! » .. وصاحت أمه بالجندى ، من خلال دموعها : « ابنى ..! ! ابنى ! ! »
وعندئذ خرج من الصف شاب قوى أنيق ، ذو عينين سوداوين ، فقبل يد أمه ، وطبع قبلة على جبين كل من أخته وأخيه .. ثم ثبت وردة صغيرة فى عروة سترته ، ووضع خلف أذنه وردة أخرى قدمتها اليه فتاة صغيرة ، وأخيرا أسرع الخطى ليلحق بالجنود ويشاركهم ترديد الأناشيد من جديد ..
وقالت له أمه : « ليحالفك الحظ السعيد يا بنى ! » .
وصاحت الفتاة بصوتها الخافت : « سنويان ! » .. بيد أن صوتيهما غرقا فى الجلبة والضوضاء . واختفى « سنويان » أو كاد بين الجنود ، وما لبث الجنود كلهم أن اختفوا وراء الضباب !
وظلت الأم تحلق فيهم بعينين لا تريان شيئا !.. بينما أحاطت الفتاة رأسها ووجهها بالوشاح الزاهى الألوان .. وعندما دخلت الأم بيتها انفجرت باكية ، ثم فتحت خزانة

ثياب قديمة واخرجت منها بعض الثياب الداخلية ، وجاءت بشمعة وثبتتها امام الأيقونة المقدسة واشعلتها .. ثم راحت تصلى بحرارة وهى مطرقة طول الوقت فى خشوع .

.. فى ذلك الوقت كانت المدافع تقصف بالقرب من (دراجومان) .. وكان ذلك فى الرابع من نوفمبر سنة ١٨٨٥ .

— ٢ —

● وفى تلك الليلة ذاتها ، رات الأم « تسينا » — فى منامها — حلما مفزعا !.. رات سحابة ضخمة ، يتوغل الجنود فيها ، و « سنويان » بينهم .. أوه يا سيدتى العذراء الطاهرة !.. ما أبشعه من منظر ! السحابة تقعقع وتدمدم ، والانفجارات تملأ السماء ، والأرض تهتز وترتج .. اذن لقد استمرت المعركة !.. رباه !.. لقد ضاع ((ستويان)) وسط السحابة ، ولم يعد له وجود !

وحينما استيقظت الأم « تسينا » ، كانت الظلمة حالكة مطبقة ، ولم يكن يسمع فى الخارج سوى عويل الريح .. فهتفت : « انها المعركة .. أيها السيد المسيح اشمله بحمايتك !.. سيدتى العذراء الطاهرة ، ارحمى سنويان ..! »

ولم تعاود النوم الا مع بزوغ الفجر ..

وفى صباح اليوم التالى ، سألت العم بيتر : ((ما معنى السحابة فى الحلم ؟))

— السحب !؟.. هناك نوعان : سحب تتحول الى امطار ، وسحب للذوب . ما نوع السحابة التى حلمت بها ؟

.. وروت له قصة الحلم . ولاذ العم بيتر بالصمت هنيهة ليفكر .. لم يتذكر انه قرأ فى الكتاب الذى عنده عن الأحلام اشارة الى سحابة من هذا النوع !.. واذ راى امارات الجلع مرتسمة على وجه الأم — وهى تتطلع اليه ملهوفة شبه لاهثة — قال لها فى اشفاق : « لا تنزعجى يا « تسينا » .. انه حلم

طيب . ان السحابة معناها أنباء طيبة أيضا .. سيصل اليك خطاب من ستويان » .. وعندئذ أشرق وجه العجوز !

وبعد ستة أيام تلقت خطابا حمله اليها أحد أصدقاء ستويان ، من المتطوعين المنوط بهم حراسة الأسرى ..

انشرح قلب « تسينا » الحزين بهذا الخطاب وامتلأ بالفرحة ، فانطلقت تجرى بأقصى سرعة تسمح بها عظامها الهرمة ، الى ستويانكا ، خطيبة ابنها .. وغمرتهم البهجة جميعا ، بيد أن « رادولشو » كان أشدهم ابتهاجا حينما علم أن أخاه سيشرح له كيف تصفر القنبلة اليدوية !

● ●

● وما ان خرجت الام « تسينا » الى الشارع ، حتى رأت جماعة من الاسرى ، وخلفهم جندى بلغارى خيل اليها انه « ستويان » نفسه ، اذ كان يشبهه الى حد كبير . لكنه لم يكن هو .. بيد ان الاسرى ـ الذين وقع عليهم بصرها لاول مرة ـ شغلوا انتباهها ، فاخذت تحدث نفسها هامسة : « يا الهى !.. اهكذا يبدو الصربيون ! ؟.. انهم يبدون اناسا طيبين ، ولكم اشفق على امهاتهم !.. ترى هل يعرفن اين هم الآن ؟.. ثم رفعت صوتها تناديهم : « ايها الشبان .. انتظروا قليلا ! »

واسرعت الى بيتها ، ولم تلبث ان عادت حاملة زجاجة « راكيا » (١) ، واهابت بالجنود الصربيين ان يقفوا لتقدم لهم شيئا منها . ولم يسع الجندى البلغارى ـ المرافق لهم ـ الا أن يبتسم ابتسامة عبرت عن طيبة قلبه .. واوقفهم عن السير .

وصاح الاسرى المرهقون ، بعد ان اشاعت « الراكيا » الدفء فى اجسامهم ، معربين للام « تسينا » عن اعترافهم بجميلها : « شكرا لك .. شكرا لك » .. كما صاح الجندى البلغارى فى انشراح : « لقد بقيت لى ايضا جرعة .. فى صحتك ايتها الجدة ! »

وتساءلت الام « تسينا » ، بعد ان مضى الرجال فى طريقهم : « انهم جميعا مسيحيون مؤمنون بالله .. فماذا دفعهم الى القتال ؟ »

---

(١) شراب مصنوع من عصير البرقوق .

— ٣ —

● وتم توقيع الهدنة ..

ودنا عيد الميـلاد ، وبدأ الجنود يعودون لقضـاء عطـلة العيد مع ذويهم . وعاد الى قريتنا (فيترين) نفسها عدد من الجنود ، ولكن « ستويان » لم يكن بينهم .. واستبد القلق والانزعاج بالأم « تسينا » ، وامتلأ ذهنها بأفكار بشعة ..

وأخذت الأيام تتعاقب ، والأم لا تكاد تحول نظرها عن باب البيت ، ترقب العائدين أثناء مرورهم بدارها .. لقد عاد رانجيل ، وستويتوف ، ثم بيتر — ابن دينكو — والأخوان ستامانوف .. وفى كل مرة كانت تنهض من مكانها وتخرج لتسأل عن ابنها ((ستويان)) .. ولكن احدا لم يكن يعرف عنه شيئا !.. لقد شاهدوه فى ميدان القتـال فى وقت من الأوقات ، ولكنه لم يلبث ان اختفى !.. وكان قلبها يوشك ان يكف عن النبض كلما سألت عنه ، ثم تروح تذرع البيت جيئة وذهابا فى قلق .. دون ان ينقطع تفكيرها فى ستويان !

وأخيرا .. دخلت ابنتها « كينا » مهرولة لاهثة ، وهى تصيح : « أماه ، لقد عاد العم ديمتر ! » .. فانتصبت واقفة ، وأسرعت ملهوفة نحو ديمتر قائلة : « مرحبا بك يا ديمتر .. أين تركتم ستويان ؟ »

ولم يكن ديمتر يعرف عنه شيئا هو الآخر ، ولكنه قال مشفقا على الأم : « من الجائز أن يكونوا قد أرسـلوه صوب (فيدين) .. ثم غمغم الجندى فى اضطراب : « وربما يكون عائدا من طريق آخر » !

.. فتنهدت قائلة : ((يا الهى .. اين يمكن ان يكـون ولدى ؟)) ..

وعاودت الخروج لتلتقى بمحبوبة ابنها « ستويانكا » .. ولكنها لم تكد تصل الى الباب ، حتى اشتدت دقات قلبها

مرة أخرى ، تحت تدافع الأماني .. كانت تأمل أن تذكر لها « ستويانكا » أنها تلقت رسالة من « ستويان » ، وأنه قادم للاشتراك معهم فى الاحتفال بعيد الميلاد !.. كانت تتمنى أن تنبس « ستويانكا » بكلمة .. ولكن الفتاة استقبلتها فى وجوم ، وظلت لائذة بالصمت ، وقد احمرت عيناها !

— ٤ —

● كانت القرية كلها تعج بالحركة كالخلية ، اذ كان أهلها يحتفلون بعودة الكتيبة الأولى ، وقد ثبتوا فى وسط الشارع — أمام بيت الأم « تسينا » — عمودين تعلوهما عصا كبيرة كالقوس ، واحضروا من الجبل غصون أشجار زكية الرائحة ، لفوها حول العمودين والقوس ، ثم ثبتوا فيها ورقة أحضروها خصيصا من (بازاردجيك) ، بعد أن كتبوا عليها : « مرحبا بكم أيها الجنود الشجعان ! » .. ثم زينوا القوس بأعلام مثلثة الألوان . وهكذا أقاموا قوس النصر !

واخذت القوات المنتصرة تروح وتجىء .. بينما كانت الأم المسكينة تفكر :

« قد يكون قادما بعدهم .. ولعله يتعمد الا يحضر الا عشية عيد الميلاد .. لماذا يحتفل بالعيد فى مكان آخر ؟ هؤلاء هم الجنود ما زالوا يتوافدون ، الواحد تلو الآخر .. زرافات لا نهاية لها .. انه سيعود هذا المساء ، فهو يعرف أن ثمة كثيرين فى انتظاره ، بقلوب تفيض هلعا وشوقا ! »

وفى الصباح التالى ، بكرت الأم فى الذهاب الى الكنيسة . و « فكت » عملة « الليفا » (١) — التى كان « ستويان » قد أرسلها اليها — واشترت شمعات أشعلتها بعد أن وضعتها أمام كل الأيقونات المقدسة فى الكنيسة .. ثم عادت الى بيتها

---

(١) اسم العملة البلغارية

مشرقة الوجه ، وهمست لنفسها قائلة : « سيعود اليوم على اي حال .. ان غدا عيد الميلاد .. اليس هذا هو الموعد الأقصى ؟.. آه يا سيدتي العذراء الطاهرة ، أعيديه الى ، يا ملاكى !.. يا يسوع ، املأ قلبى فرحا ! »

وجاءت ابنتها « كينا » مهرولة لتقول : ان مزيدا من الجنود قد عادوا للقرية .. فارتسمت امارات العبوس على جبين الأم « تسينا » ، وغمغمت فى غضب : « انك تجيئينى بالشائعات منذ مدة طويلة .. الا اذهبى للترحيب بأخيك كما يفعل الآخرون ! »

وصاح الأخ الأصغر رادولشو : « أريد ان أذهب أنا أيضا مع اختى ! »

.. وهرع الصبيان الى الشارع الذى يكسوه الجليد ، ثم انطلقا الى الخلاء على طول الطريق الزراعي .. بينما وقفت الأم « تسينا » خارج الباب ، متأهبة لاستقبال ابنها ..

● ●

● وهبت الرياح باردة من الجبال .. وكانت القمم ، والوديان ، والسهول تبدو كلها بيضاء .. اما السماء فكانت فى سورة غضب . وفوق الطريق كانت جماعات من الغربان السوداء تحلق ، او تقف على الأشجار ذات التيجان غير المرسمة ، وهنا وهناك ، على طول الطريق الزراعى الصاعد الى ممر (اهتيمان) ، كانت جماعات الناس الذين قدموا للترحيب بالجنود ، تبدو كالبقع السوداء على الجليد .. وكانت هناك فتيات ، وأطفال ، وسيدات مسنات .. واخذ الجنود يصلون أفرادا وجماعات .

ومرت ((كينسا)) ، ومعها اخوها ((رادولشو)) ، امام الجماعة الأولى ، ثم الثانية ، والثالثة ، ومضيا فى السير .. كانا يتلهفان على ان يكونا اول من يلتقى ب ((ستويان)) ويرحب

به . انهما ، ولا شك ، سيتعرفان عليه رغم أن البرد الذى بدأ يتساقط اخذ يحد من مجال رؤيتهما !

وكان الطريق يزداد صعودا حتى يختفى عند قمة التل . ولذلك صعدت « كينا » ، ومعها « رادولشو » ، الى القمة .. وهناك كانت الريح أقوى ، واشد عنفا . وبدا جنديان عند المنحنى ، وقد غطاهما البرد المتساقط ، ولكن « ستويان » لم يكن واحدا منهما .

وسألتهما كينا : « أيها الجنديان .. هل هناك جنود آخرون قادمون ؟ »

فأجابا فى اقتضاب : « لا نعرف أيتها الصبية .. لكن من تنتظرين ؟ »

وصاح رادولشو : « اننا ننتظر اخانا » .

ومضى الجنديان المرهقان فى طريقهما ..

وامتد بصر « كينا » واخيها الصغير الى الطريق مرة أخرى .. كانا يشعران بشدة البرد ، واخذت أطرافهما ترتجف ، بل ان أسنان « رادولشو » أخذت تصطك .. ولكن أخاهما قادم ، وعليهما أن ينتظراه ، والا نهرتهما أمهما وتعالى صراخها ان لم يعد معهما الى البيت !

وظهرت عربة بها شخصان ، تدثر كل منهما بقلنسوة و « حرملة » من جلد الغنم . وحين وصلت العربة الى حيث كانا يقفان ، اعترضت « كينا » طريق الجواد ، وسألت الراكبين : « أهناك جنود آخرون قادمون فى الطريق ؟ »

فأجاب أحدهما ، بعد أن رفع القلنسوة قليلا ، ونظر فى دهشة الى الفتاة التى كان لون بشرتها خليطا من الحمرة والزرقة ، بسبب البرد القارس : « لسنا نعرف يا بنيتى ! » .. ثم انطلقت العربة هابطة التل .

وتسمرت أقدام « كينا » وأخيها فى ذلك المكان . ومضت ساعات .. وازدادت ريح الجبل قوة ، وأخذت تصفع

وجهيهما وثوبيهما .. ومن حولهما تتدحرج حبــات البرد تذروها الريح فى رقصة جنونية .. ولكنهما لم يحركا ساكنا ! .. واستمرت اعينهما مركزة على المنحنى ، وهما يحدقان فى لهفة ، منتظرين ان يظهر اى كائن حى !

● ●

وكانت ((كينا)) فى تلك الأثناء تبكى .. وبدا ((رادوالشو)) يبكى بدوره ، وقد كانت أيديهما واقدامهما تتجمد من شدة البرد ، كما بدت خدودهما زرقاء .. وكان الطريق ممتدا امامهما الى القرية ، وقد اقفر تماما ، اذ عاد الذين قدموا للترحيب بذويهم من الجنود الى بيوتهم ، بعد ان بدا ظلام الليل يزحف حالكا . وزاد اشتداد الريح وقسوة البرد ، الى حد لم يعهده الشقيقان فى اى وقت مضى .. وبدا الفرسان المبتعدون كأشباح سوداء وسط الجليد الأبيض .. وحملت الريح أغانى الجنود المرحة الى آذان الفتاة والصبى اللذين شرعا يسيران نحو القرية .

.. وارخى الليل سدوله ، وهما يغذان السير ، منتحبين فى خفوت .. كانا يفكران فى امهما التى تنتظرهما عند البــاب !.. وفجـــاة جلجلت من خلفهما عربة اخرى ـ قادمة من فوق التل ـ تجرها ثلاثة جيـــاد ، فصاحا بمن فيهـــا :

((هل هناك جنود آخرون قادمون فى الطريق ؟))

.. لكن العربة مرقت امامهما واختفت فى الظلام !

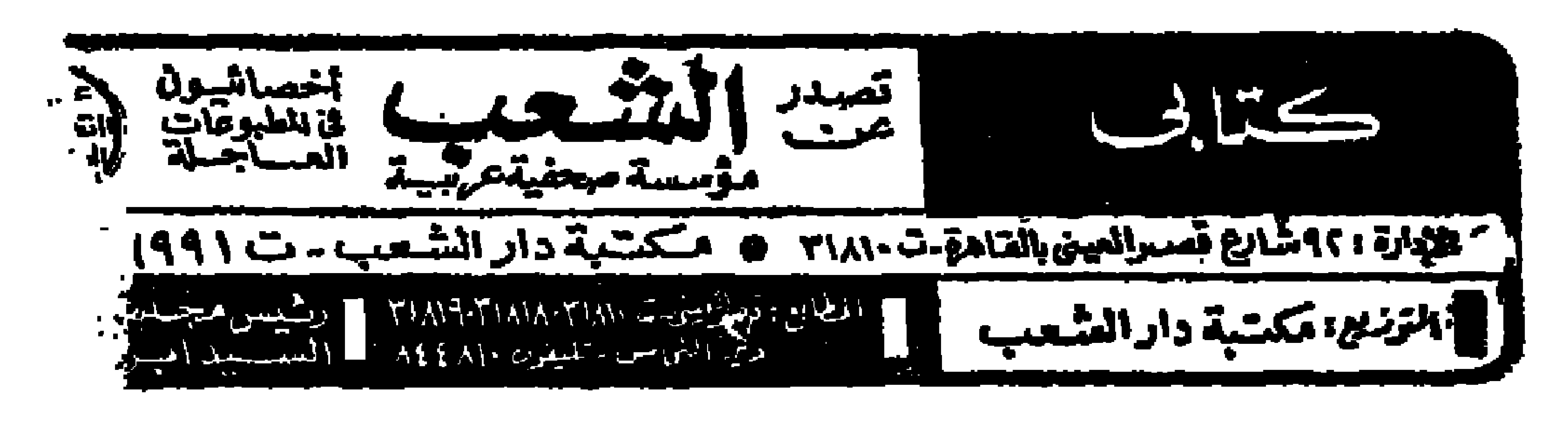
وكانت العاصفة الثلجية تعوى حولهما بعنف ، وبدا كان عنفها وترنحها يوحيان الى ((كينا)) واخيها بالجواب ... كانت قادمة من ((الغرب)) ، من ميدان القتال ، حيث كان الجليد الذى يتخلل مزارع العنب ، يتراكم فوق .. قبر ((ستويان)) !


محتويات الكتاب

الموضوع	صفحة

مجلة الصغار للأولاد والبنات

شاب ينتصر على امبراطور ! ـ هل تعلم ؟ ـ شخصيات تغلبت على العجز ـ الحساب مادة مسلية لذيذة ! شخصيات خالدة : مدام كورى ـ اخطاء شائعة .. الخ .




الخطوط الجوية العالمية TWA
عن أسهل طريق
للوصول إلى أمريكا
يدفع المهاجر
١٠٪ مقدماً
والباقي يقسط
على ٢٤ شهراً
رحلتان أسبوعياً
تليفون :
القاهرة: ٥٩٧٦٠
الاسكندرية: ٢٦٣٢٨
TWA
TRANS WORLD AIRLINES
الشعب